

الأبعاد السياسية في شعر أحمد مطر: دراسة تحليلية

أطروحة مقدمة إلى جامعة كاليكوت
لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
(نسخة منقحة)

قدمها
صلاح الدين ك

تحت إشراف
الدكتور منصور أمين ك
الأستاذ المساعد ومشرف البحوث،
قسم اللغة العربية، كلية يم. إي. يس ممباد (حكم ذاتي)



جامعة كاليكوت، كيرالا - الهند

2023م

المحتويات

1	:	مقدمة البحث
48-10	:	الباب الأول : الشعر السياسي عبر العصور
11	:	الفصل الأول : الشعر السياسي في العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام
26	:	الفصل الثاني : الشعر السياسي في العصرين الأموي والعباسي
39	:	الفصل الثالث : الشعر السياسي في العصرين الحديث والمعاصر
71-49	:	الباب الثاني : أحمد مطر: مشواره الشعري
50	:	الفصل الأول : أحمد مطر: مولده ونشأته
58	:	الفصل الثاني : أحمد مطر: بواعثه الشعرية
61	:	الفصل الثالث : أحمد مطر: إبداعاته الشعرية
142-72	:	الباب الثالث : القضايا السياسية في شعر أحمد مطر
73	:	الفصل الأول : الاستبداد
89	:	الفصل الثاني : الحرية
109	:	الفصل الثالث : الفوضى
122	:	الفصل الرابع : الاستعمار
132	:	الفصل الخامس : القضية الفلسطينية
179-143	:	الباب الرابع : الهجاء السياسي في شعر أحمد مطر
144	:	الفصل الأول : هجاء الشعب العربي
160	:	الفصل الثاني : هجاء الشعراء والأدباء
168	:	الفصل الثالث : هجاء العلماء ورجال الدين
175	:	الفصل الرابع : هجاء وسائل الإعلام

224 -180	: التكنيكات الشعرية عند أحمد مطر	الباب الخامس
181	: المفارقة	الفصل الأول
193	: التناس	الفصل الثاني
204	: الرموز	الفصل الثالث
214	: أساليب التعبير	الفصل الرابع
225	:	خاتمة البحث
229	:	المصادر والمراجع

مقدمة البحث

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأمي أفصح العرب والعجم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الأعظم.

كانت السياسة فكرة من أفكار الشعر السياسي منذ العصر الجاهلي. ثم تطور الشعر السياسي على مر العصور، فازدهر في العصر الأموي بوجود المعركة الشعرية بين شعراء الأحزاب السياسية، وواصل سيره في العصر العباسي. وفي العصر الحديث قام الشعر السياسي بدوره ضد الاستعمار الغربي السائد في معظم البلدان العربية، وساهم في المقاومات الشعبية ضد قوات الاحتلال في مختلف أنحاء العالم العربي. وبعد نكبة فلسطين تمحور حول القضية واقفا مع الشعب الفلسطيني مواساة له ومحرضا مكافحاته ضد الصهاينة. وفي العصر الراهن يقوم ضد الاستبداد بنشر تعاليم الديمقراطية والحرية والتسامح واللاعنف.

يعد الشاعر العراقي أحمد مطر من رواد الشعر السياسي العربي المعاصر، حيث شيد عالما كبيرا في نفوس محبي الشعر العربي بأسلوب متميز يتركز على الهجاء السياسي. عالج القضايا السياسية التي يعانها الشعب العربي عامة والشعب العراقي خاصة وجعلها أهم محور شعره. فلا غرابة أن يصير عدواً بيننا لحكام الوطن العربي.

ينفرد أحمد مطر من معاصريه بقوة ألفاظه وشدة مواقفه والتزامه بمبادئ الحرية والاستقلال. فصار عرضة لمعاداة الحكام حتى اضطر للخروج من مسقط رأسه إثر مطاردة

ولاية الأمر. فبدأ حياته في الكويت، واشتغل في جريدة القبس. ولكن المأساة تكررت، حيث أثارت أشعاره الحكام ضده حتى تم نفيه وصديقه الحميم ناجي العلي من الكويت، فأقاما في لندن. وفي لندن أعتيل ناجي العلي. فمنذ ذلك اليوم بدأ أحمد مطر أن يعتزل عن الناس وعن وسائل الإعلام. تواصل تأليفه ونشره حتى أصابه الخيبة، فترك النشر بل لم يترك التأليف.

هذه الأطروحة تم إعدادها لتقديمها إلى جامعة كاليفورنيا لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها بعنوان 'الأبعاد السياسية في شعر أحمد مطر: دراسة تحليلية'.

تحليل العنوان

'أبعاد' جمع كلمة بعد. و'البعء' لغة خلاف القرب. في القواميس المعاصرة يرى بمعان شتى مثل: اتساع المدى، والعمق وغيره. أبعاد موضوع أي مداه أو اتساعه أو أعماقه، أو ما يتعلق به.

السياسية والسياسي اسم منسوب إلى سياسة. والسياسة مصدر ساس، يسوس. ترجع المعاني اللغوية لكلمة ساس إلى تدبير شؤون الناس. أما اصطلاحاً فينقسم معناها إلى أقسام منها السياسة الخاصة والسياسة الذاتية والسياسة العامة. السياسة الخاصة متصلة بتدبير شؤون الأسر والإخوة والصحبة. والسياسة الذاتية مقصودها معرفة الإنسان نفسه وأخلاقه وسلوكه وغيرها. أما السياسة العامة فهي رئاسة الأمم والبلدان كالأمراء والحكام وغيرهم، ويرتكز البحث على هذا الاتجاه لمفهوم 'السياسة'.¹

¹ أحمد الشايب. تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني. ط5. بيروت: دار القلم، م1976. ص3.

الشعر في معناه التقليدي: كلام موزون مقفى دال على معنى، أما الشعر الحر فهو الشعر المتحرر من الوزن والقافية.

أحمد مطر: هو الشاعر العراقي الذي يعيش الآن في لندن، له دواوين شعرية عديدة باسم 'اللافتات' وغيرها.

دوافع اختيار الموضوع

استثارت الدوافع التالية هذا البحث:

1. رغب الباحث أن يكون بحثه في الشعر العربي لحرصه في تذوق الشعر وقرضه. فأراد أن يختار من الشعر العربي المعاصر مادة بحثه.
2. وجد الباحث في أشعار أحمد مطر ما يستحق للبحث، حيث إن الشاعر واجه عدوان حكام العرب، فلم يستطع أن يقيم في الوطن العربي، بل يتكلم ويزعم لصالح الشعب العربي، فأراد الباحث أن يكشف عن الباعث الحقيقي لإبداع الشاعر.
3. حرص الباحث في تذوق أشعار أحمد مطر لما تحتوي من النقد السياسي حيث يفهمه القارئ بأيسر جهد وألذ متعة.

منهج البحث

نهج الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي الذي يتبع عادة في البحوث الأدبية. قام الباحث بجمع المعلومات والبيانات اللازمة لإتمام بحثه من مختلف المصادر والمراجع. فجمع المعلومات عن مراحل تطور الشعر السياسي العربي توطئة للبحث. وطالع في مختلف المصادر من الكتب والصحف والمجلات والمدونات وفي المواقع الإلكترونية ودرش الباحث

مع الشخصيات الذين لهم اتصال مع الشاعر عبر الوسائط الاجتماعية وجمع بيانات عن سيرة حياة الشاعر وخلفياته وبواعثه ومؤلفاته. طالع الباحث في أشعار أحمد مطر المدونة في دواوين مختلفة وحللها وناقش عنها مع الخبراء من العلماء والأكاديميين داخل كبرالا وخارجه. استخلص الباحث من أشعاره خلال هذه العمليات أهم القضايا السياسية التي عالجها الشاعر في أطواء أبياته واستنتج ملحوظاته عن الهجاء السياسي في أشعاره واستلخص أهم مميزات أسلوب الشاعر.

مشكلة البحث

1. ما هي أهم بواعث إبداع الشاعر أحمد مطر؟
2. ما دور الشاعر خلال الربيع العربي؟
3. كيف صور الشاعر أحمد مطر القضايا السياسية في أشعاره؟
4. ما مدى نجاح الشاعر في تصوير معاناة شعبه من الحكام في أشعاره؟
5. هل حقق الشاعر نجاحا في تصوير حالة عدم الحرية في بلاده في أشعاره؟
6. كيف صور الشاعر الفوضى السائد في بلاده خلال أشعاره؟
7. كيف استفاد الشاعر من الهجاء السياسي آلة لإصلاح حكم بلاده؟
8. ما هي أهم الأساليب الشعرية التي اتخذها الشاعر في أشعاره؟

أهداف البحث

1. التعرف بمراحل تطور الشعر السياسي
2. التعرف بحياة الشاعر أحمد مطر الذي يعيش في منفاه لندن

3. الاطلاع على القضايا السياسية التي عالجها الشاعر أحمد مطر
4. التعرف على مدى استفادة الشاعر من الهجاء السياسي في شعره
5. استطلاع أهم أساليب الشاعر في لافتاته

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث دراسة بحثية عن الشاعر أحمد مطر وأشعاره في الجامعات الهندية. رغم أن هناك كتب ودراسات على مستوى الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية، ومن أهمها:

❖ 'عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر' كتاب لكمال أحمد غنيم، نشره مكتبة

مدبولي، القاهرة سنة 1998م. هذا الكتاب يعالج تقنيات الشعرية التي اتبعها

الشاعر في أشعاره.

❖ 'شعرية السرد في شعر أحمد مطر: دراسة سيميائية جمالية في ديوان لافتات' كتاب

لعبد الكريم السعدي، نشره دار السياح، لندن عام 2008م. في هذا الكتاب يحلل

المؤلف شعرية السرد الذي اتبعها الشاعر في أشعاره.

❖ 'السخرية الهادفة في شعر أحمد مطر' مقالة لحافظ كوزي عبد العالي، نشرها مجلة

اللغة العربية وآدابها، العراق في المجلد 2012 العدد 15، عام 2012. هذه المقالة تركز

على السخرية التي تحتوي عليها أشعار الشاعر.

❖ 'النص الساخر في شعر أحمد مطر من خلال نماذج مختارة من شعره' رسالة جامعية لخيرة تاهي بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة عام 2016م. هذه الرسالة تحلل المختارة من أشعاره من جانب السخرية.

❖ 'جمالية السخرية في شعر أحمد مطر اللافتات 6 أنموذجا' رسالة جامعية لطالبتين وفاء زيادي وأميرة دربال بجامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر. عام 2018. هذه الرسالة تعالج السخرية التي استخدمها الشاعر في ديوانه لافتات 6.

❖ 'شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر' رسالة دكتوراه للباحث هشام حمد الكساسبة بجامعة مؤتة عام 2016م. تتركز هذه الرسالة على شعرية هجاء الشاعر.

لم يرد كتاب ولا دراسة على العنوان الذي يريد الباحث به تحليل أشعار أحمد مطر واستنباط ملاحظاته السياسية ومعالجته الهجاء السياسي واستخدامه الأساليب الملائمة. يأمل الباحث أن يسلط الضوء على هذه المناطق المهمة بمنوال جديد.

أهمية البحث

عرّف أحمد مطر أسلوباً جديداً ونوعاً شعرياً بديعاً قائماً على أساس الهجاء السياسي، فاشتهر بلافتاته التي صارت سلاحاً حاداً ضد الحكام المستبدين. خاف الحكامُ أشعاره فأخرجوه من الوطن العربي إلا أن تأثير الشاعر ازداد يوماً فيوماً. الدراسات السابقة في أشعاره محصورة على النقاش حول تكتيكاته الشعرية. وجد الباحث أن يخرج ملاحظاته وأفكاره السياسية و يشرح كيفية تضمينها في أشعاره.

الصعوبات التي واجهها الباحث:

1. قلة الكتب التي تعالج مساهمات الشاعر سيرة ونقدا وتحليلا بمكتبات كيرالا.
2. عدم الاتصال بالشاعر لابتعاده عن جميع وسائل الاتصال.
3. بعض الأشعار المتعلقة بالحوادث الخاصة استعصت عن الفهم لعدم الحصول على مصادر تبين تلك الحوادث.

خطة البحث

يحتوي البحث على خمسة أبواب تضم كل منها على عدة فصول، إضافة إلى مقدمة البحث وخاتمته.

الباب الأول: الشعر السياسي عبر العصور. فيه ثلاثة فصول. الفصل الأول: الشعر السياسي في العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام. والفصل الثاني: الشعر السياسي في العصرين الأموي والعباسي. والفصل الثالث: الشعر السياسي في العصرين الحديث والمعاصر. يعالج هذا الباب مراحل تطور الشعر السياسي العربي منذ بدايته إلى العصر الراهن.

الباب الثاني: أحمد مطر: مشواره الشعري. فيه ثلاثة فصول. الفصل الأول: أحمد مطر: مولده ونشأته، يحتوي على سيرة الشاعر. والفصل الثاني: أحمد مطر: بواعثه الشعرية، يحتوي على بواعث الشاعر لكتابة الأشعار ولا سيما ميله إلى الهجاء السياسي. والفصل الثالث: أحمد مطر: إبداعاته الشعرية، فيه معلومات عن أشعاره ودواوينه ومنظوره في رسالة الشعر.

الباب الثالث: القضايا السياسية في شعر أحمد مطر. هذا الباب يحتوي على خمسة فصول. الفصل الأول: الاستبداد، يأتي الباحث فيه بملاحظاته عن آراء الشاعر عن الاستبداد السائد في بلاده. الفصل الثاني: الحرية، يبحث فيه الباحث عن آراء الشاعر عن الحرية وأحوال وطنه. الفصل الثالث: الفوضى، يبحث عن الفوضى ومتاعب المواطنين منه في وطنه. الفصل الرابع: الاستعمار، يبحث عن آراء الشاعر عن وجود استعمار من جديد في وطنه. والفصل الخامس: القضية الفلسطينية، يبحث الباحث فيه عن القضية الفلسطينية وآراء الشاعر فيها.

الباب الرابع: الهجاء السياسي في شعر أحمد مطر. هذا الباب يحتوي على فصول أربعة. الفصل الأول: هجاء الشعب العربي، يبحث الباحث فيه عن هجاء الشاعر الشعب العربي على تحمله وصبره على الاستبداد والفوضى، وطاعته الحكام المستبدين بدون انزعاج. الفصل الثاني: هجاء الشعراء والأدباء، يبحث الباحث فيه عن هجاء الشاعر الشعراء والأدباء من الوطن العربي الذين لا يرفعون أصواتهم ضد جور الحكام. الفصل الثالث: هجاء العلماء ورجال الدين، يبحث عن هجاء الشاعر العلماء ورجال الدين الذين يقومون بتأييد الحكام المستبدين خوفاً أو طمعا. الفصل الرابع: هجاء وسائل الإعلام، يبحث عن هجاء الشاعر وسائل الإعلام الصامتة عن جور الحكام.

الباب الخامس: التكنيكات الشعرية عند أحمد مطر. يحتوي هذا الباب على أربعة فصول. الفصل الأول: المفارقة، يبحث عن المفارقة وكيفية أدائها في أشعار أحمد مطر. الفصل الثاني: التناص، يبحث فيه عن كيفية توظيف الشاعر التناص في شعره. الفصل الثالث:

الرموز، يبحث عن كيفية استعانة الشاعر بالرموز في شعره. الفصل الرابع: أساليب التعبير، يبحث عن أهم أساليب الشاعر من الحوار والقص والوصية واللغز في أشعاره.

كلمة الشكر

بادئ ذي بدء يحمد الباحث ربه سبحانه تعالى الذي وفق لإتمام هذا البحث في الوقت المعين. يقدم الباحث أسى آيات الشكر والامتنان من عميق القلب للدكتور الأستاذ المشرف منصور أمين ك، من قسم البحوث والدراسات العربية في كلية يم. إي. يس. ممباد (حكم ذاتي). يتذكر الباحث في هذه اللحظة السعيدة ملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة التي ساعدت الباحث للوصول إلى الغرض المنشود. جزاه الله خير الجزاء.

يقدم الباحث أجزل الشكر للدكتور سابق م. ك، رئيس قسم اللغة العربية في كلية يم. إي. يس. ممباد (حكم ذاتي) والدكتور حمزة ك، الأستاذ المشارك من الكلية الحكومية بي تي يم بيريندلنا، والدكتور هلال ك. م، الأستاذ المشارك من الكلية الحكومية لتذكار تونجان، تيرور لإرشادتهم القيمة في جميع مراحل البحث وجزاهم الله أحسن الجزاء. والشكر موصول إلى كل من ساند الباحث أثناء عملية البحث من الأساتذة والباحثين والزملاء وأعضاء الأسرة الذين كانوا خير معين للباحث في إتمام هذا البحث، فجزاهم الله خير الجزاء.

الباب الأول: الشعر السياسي عبر العصور

الفصل الأول: الشعر السياسي في العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام

الفصل الثاني: الشعر السياسي في العصرين الأموي والعباسي

الفصل الثالث: الشعر السياسي في العصرين الحديث والمعاصر

الفصل الأول

الشعر السياسي في العصر الجاهلي وفي عصر صدر الإسلام

الشعر السياسي

الشعر والسياسة كلمتان معروفتان في الأوساط الأدبية. على الرغم من تباين معنيهما، تقتربان وتتصلان أحياناً، حيث إن الشاعر يعبر عما يجيش في قلبه من العواطف والشعور ويبين آراءه ومواقفه تجاه ما يقابله من الظروف إما تقريظاً ومدحاً ووصفاً، وإما نقداً وهجاءً وسخرية. فلا غرابة أن يتغنى بمجد وطنه أو حزبه الذي يميل إليه ويتحدث عن الحكام والوزراء ورجال السياسة والشعب المواطن مدحاً أو ذماً، ويؤيد المبادئ السياسية التي يراها صحيحة أو يرد وينكر ما يراه غلطاً. يعرف الأستاذ أحمد الشايب الشعر السياسي: "هذا الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدول الداخلي أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول."² أما هذه الكلمات مثل الدولة والسياسة فحلت تطورات عديدة في مدلولاتها على مر العصور، فلا بد على من يبحث عن الشعر السياسي في العصور القديمة الاعتناء التام بهذه التطورات والتغيرات.

الأحوال السياسية في العصر الجاهلي

الحياة في العصر الجاهلي جرت معظمها في البادية، يعيشون في قبائل مختلفة. وكان لكل قبيلة رئيس مطاع يولي زمامها في السلم والحرب. أكثرهم كانوا يشاورون مع ذوي الرأي

² أحمد الشايب. تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني. ط5. بيروت: دار القلم، 1976م. ص 4.

والحنكة في أمور القبيلة في مجلس القبيلة. هذا المجلس يتداخل في أمور القوم وفق العرف القبلية في كل من القضاء والزواج والطلاق والإرث وغيرها. أما القبائل فكانت في منافسة ومعاداة دائمة. تتنافس في النسب والكسب والنفوذ. أدت هذه المنافسة إلى حروب دامية دائمة. القبائل الصغيرة الضعيفة التي لا تستطيع القيام أمام العدو بوحدها تحالفت مع الأخرى، وكانت القبائل الكبيرة أيضا يحتاجون إلى هذا التحالف لتثبت في ساحة الحروب. هكذا كانت القبائل تحيا حياتها كما تحيا الدول في عصرنا هذا.

أما في الحضر فكانت هناك إمارتان مشهورتان في شبه الجزيرة العربية، إمارة المناذرة وإمارة الغساسنة. الحياة في هاتين الإمارتين كانت أرقى من تلك التي في البادية عقلية وسياسية، ولعل يرجع سببها إلى اتصالهم بالفرس والروم وعلاقتهم التجارية بسائر البلدان. كانت هاتين الإمارتين تخضع لدولتين كبيرتين في المنطقة، دولة الروم البيزنطيين من جهة ودولة الفرس الساسانيين من جهة أخرى. اتخذت الرومان من الغساسنة في الشام إمارة لتسلم من غارات الفرس والبدو كما اتخذت الفرس من المناذرة في الحيرة. هكذا استخدمتها الروم والفرس درعا تحميها من غارات تشن بينهما أو ما تواجه من قبائل البدو، فدامت العداوة بين هاتين الإمارتين في كل حين. وكان هناك إمارة ثالثة في شمالي نجد، وهي إمارة كندة. وكان حجر والد الشاعر امرئ القيس من آخر ملوكها.³

الشعر السياسي في العصر الجاهلي

عرفت اللغة العربية الشعر السياسي منذ العصر الجاهلي. كان الشاعر في المجتمع الجاهلي يتمتع بمكانة عظيمة، حيث إن القبائل كانت في نزاع دائم، تتحارب فيما بينها زمنا طويلا.

³ شوقي ضيف. العصر الجاهلي. ط 11. القاهرة: دار المعارف، 1960م. ص 38.

وأكثر النزاع يبدأ لأسباب تافهة ثم يتطور. "وكثيرا ما كانت الحرب تبدأ بنزاع بين الرعاة على الماء أو المرعى فيشترك معهم ساداتهم وأقرباؤهم. وهذا بما يشبه بما يحدث في ريف مصر ولا سيما في أيام الري بنظام (المناويات) الآن."⁴ بعض هذه الحروب تستغرق سنين طويلة. في هذه البيئة، كان للشاعر دوره الحاسم في توجيه سياسة القبائل، كدور السفير أو الصحفي أو المحامي في المجتمع الحديث. فيسجل أحداث القبيلة ووقائعها فيخلد ذكرها ويحمس جيشها ويمدح رؤساءها ويؤيد مواقفها ويرد أعداءها. فهذا كله كانت القبائل الجاهلية تعتن بشعرائها. "وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها، وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، و يتباشرون الرجال و الولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، و ذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكورهم، وكانوا لا يهتئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج."⁵

استخدم الشعراء أساليب شتى لإثارة الناس ولتحميمس الجيوش، سواء للانتقام أم للرد على الأعداء. فيذكرون تراثهم وبطولاتهم، ومحاسن القتلى منهم، ويبكون ويرثون ويحلفون، هذا الشاعر مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا، حين قتله جساس بن مرة من بكر فيحلف قائلا:

خذ العهد الأكيد علي عمري	بتركي كل ما حوت الديار
وهجري الغانيات وشرب كأس	ولبسي جبة لا تستعار
ولست بخالع درعي وسيفي	إلى أن يخلع الليل النهار

⁴ أحمد محمد الحوفي. الحياة العربية من الشعر الجاهلي. ط 3. مصر: مطبعة نهضة، 1949م. ص 169.

⁵ أبو علي بن رشيقي القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وأدابة و نقده. تحقيق: محمد معي الدين عبد الحميد. ط 2.

ج1. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1955م. ص 65.

والإ أن تبید سـرارة بـكر
فلا یبقی لها أبدا أثار"⁶

وقال قیس بن الخطیم:

"ومنا الذي ألى ثلاثين ليلة عن الخمر حتى زاركم بالكتائب"⁷

وهذه عجوز تدعى خويلة من بنى رثام، فهي قتل بنو ناعب وبنو داهن ثلاثين رجلا من قومها، فأقبلت إليهم وقطعت خناصرهم ونظمت منها قلادة وألقتها في عنقها، وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سعودة المهري وهو ابن أختها، فأناخت بفنائه وأنشأت تقول:

"يا خير معتمد وأمنع ملجأ
وأعز منتقم وأدرك طالب
جاءتك وافدة الثكالي تغتلي
بسوادها فوق الفضاء الناضب
هذي خناصر أسرتي مسرودة
في الجيد مني مثل سمط الكاعب"⁸

العلاقة بين أفراد القبيلة كانت قائمة على أسس من التعصب الشديد، لا ينبغي للفرد أن يخالف أمر القبيلة ولو كان رأيه خلاف ذلك. هذا الشاعر دريد بن الصمة يصرح أنه لا يخالف قبيلته 'الغزية' أبدا، قائلا:

"أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
فلما عصوني، كنت منهم، وقد أرى
غوايتهم، أو أنني غير مهتد
وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويت، وإن ترشد غزية أرشد"⁹

⁶ مهلهل بن ربيعة. ديوان مهلهل بن ربيعة. شرح: طلال حرب. بيروت: الدار العالمية، ص 34.

⁷ قيس بن الخطيم. ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. ط 1. بغداد: مطبعة العاني، 1962م. ص 36.

⁸ أحمد محمد الحوفي. الحياة العربية من الشعر الجاهلي. ط 3. مصر: مطبعة نهضة، 1949م. ص 215.

⁹ دريد بن الصمة. ديوان دريد بن الصمة. تحقيق: عمر عبد الرسول. القاهرة: دار المعارف، 1980م. ص 61.

وكان من مسؤوليات القبيلة، أن تحافظ على أفرادها وتحمهم من كل سوء. تقوم القبيلة مع الفرد ولو كان ظالماً أو مظلوماً، يقول النابغة الذبياني مفتخراً:

"حدبت علي بطون ضنة كلها
إن ظالماً فيهم وإن مظلوماً"¹⁰

إذا قصرت القبيلة في أداء واجب من واجباتها على الأفراد، وفشلت في مساعدة فرد من أفرادها في أزمة حلت به، فيعيرها الشاعر ويعبر عن قلقه وسخطه ضد القبيلة ويسخر منها كما فعل الشاعر قريظ بن أنيف من بني العنبر، حين خذلته وتخلت عنه إذ أغار بعض بني شيبان على إبل له وسلبوها، فاستعان من قومه فلم يعينوه، فدعا بني مازن فعاونوه واستردوا الإبل له، فأتى الشاعر بأبياته قائلاً:

"لو كنت من مازن لم تستبح إبلي
بنوا اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن
عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجديه لهم
طاروا إليه زرافات ووحदानا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد
ليسوا من الشر شيء وإن هانا"¹¹

مثل هذا الهجاء والتنبيه، يسبب أحياناً إلى تحالف القوم وتعاقدتهم في إصلاح المجتمع كما وقع في أمر حلف الفضول. وكان من سبب حلف الفضول أن رجلاً من زبيد جاء إلى مكة للتجارة، واشترى العاص بن وائل بضاعته وحبس عن حقه. فاستعدى الزبيدي عليه

¹⁰ النابغة الذبياني. ديوان النابغة الذبياني. شرح: عباس عبد الساتر. ط 3. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م. ص 95.

¹¹ أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. ديوان الحماسة. شرح: أحمد حسن بسج. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م. ص 11.

الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجحما وسهما وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل لكنهم نهروه. فلما رأى منهم الزبيدي الشر أوفى على أبي القبيس عند طلوع الشمس، وكان قريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بصوته العالي:

"يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر"¹²

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان وتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه، ثم ذهبوا جميعا إلى العاص بن وائل وانتزعوا منه السلعة وردوها إلى الزبيدي.

مما يجدر بالذكر أن بعض شعرائهم كانوا يتداخلون في اختيار رؤساء القبيلة، مثل الشاعر لقيط الإيادي يعبر في شعره عن رأيه في اختيار رئيس قومه، يصرح فيه عن الأخلاق والشيم اللازمة فيمن يختار رئيسا لقومهم، فيقول:

"فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركهم يروم منها إلى الأعداء مطالعا
ما انفك يحلب در الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا

¹² أبو الفداء إسماعيل ابن كثير. السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ج 1. بيروت: دار المعرفة، 1976م.

وليس يشغله مال يثمره عـنـنـكـم، ولا ولد يبغى له الرفعا

حتى استمرت على شزر مريته مستحکم السن لا قحما ولا ضرعا"¹³

كان المجتمع الجاهلي يتفاوت بين الفقر والغنى. وكان المال دولة بين أغنيائهم. فثار بعض الفقراء الذين أبوا أن يعيشوا محتقرين ومنبوذين ضد هذا الوضع السيئ، جمعتهم الحاجة إلى الشرف والمال والأنعام. فغدوا يغيرون على أغنياء القوم من البخلاء ويسلبون أموالهم ويوزعونها بين فقرائهم. اعتقدوا أن المجد والفضل تأتي بالصراع والقوة، يقول الشاعر عمرو بن براقه:

"متى تطلب المال الممنع بالقنا تعش ماجدا أو تخترمك المخارم"¹⁴

أما في الحضر، فنرى الشعراء يتدأخلون في سياسة الإمارات، تحريضا وتحميسا للجنود وتصويرا للمعارك والحروب. أشهر شعراء الإمارات هو النابغة الذبياني. اتصل بكلتا الإمارات الغساسنة والمناذرة، في أيامهم في الحرب والسلام، وله قصائد كثيرة في وصف معاركها وجيوشها ومملكتها.

وقد خاضت الإمارات أحيانا في حروب مع القبائل، في بعضها ارتدت على عقبها بخسار فادح. هذا الشاعر ابن القائف الضبي يفتخر بمواقف قبيلته في معركة دامية مع جيش الغساسنة، يذكر انتصارها الحاسمة على محرق الغساني وأخيه جيش بن دلف، يقول:

"نعم الفوارس يوم جيش محرق لحقوا وهم يدعون يال ضرار

¹³ لقيط بن يعمر الإيادي. ديوان لقيط بن يعمر الإيادي. تحقيق: خليل إبراهيم العطية. مصر: مطبع دار الجمهورية، ص 46.

¹⁴ محمد بن مبارك. منتهى الطلب من أشعار العرب. ط1. بيروت: دار صادر، 1999م. ص 311.

زيد الفوارس كر وابنا منذر والخيل أوجفها بنو جبار

حتى سمو لمحرق برماحهم بالطعن بين كتائب وغبار¹⁵

مهما كان الشعراء يخضعون لقبيلتهم بتعصيمهم بها، ما كانوا يخضعون للملوك والطفأة، لأنهم كانوا قوما يؤمنون في الحرية، هذا الشاعر جابر بن حني التغلبي يهدد ويوعد الملوك بقوله:

"ألا تستحي منا ملوك وتتقي محارمنا، لا يبوء الدم بالدم

نعاطى الملوك السلم ما قصدوا بنا وليس علينا قتلهم بمحرم

وكائن أزرنا الموت من ذي تحية إذا ما ازدرانا أو أسف لمأثم¹⁶

للشاعر عمرو بن كلثوم مواقف عديدة مع الإمارات مما تبدي بطولته ولا سيما مع عمرو بن هند ملك الحيرة. أسخطته والدة عمرو بن هند حين قالت لأمه "ناوليني يا ليلي ذلك الطبق" وألحتها في خدمتها، تنفيذاً لما أمرها الملك عمرو بن هند، ليسخر منها ومن عمرو بن كلثوم، فثار عمرو بن كلثوم حتى ضرب بسيفه عنق عمرو بن هند. يقول في معلقته:

"ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

بأي مشيئة عمرو بن هند ترى أنا نكـون الأردلينا

تهددنا وأوعدنا رويدا متى كنا لأمـك مقتوينا

فإن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا

¹⁵ جاد المولي بك، محمد أحمد، علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. أيام العرب في الجاهلية. ط 1. مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1942م. ص 388.

¹⁶ محمد بن مبارك. منتهى الطلب من أشعار العرب. ط 1. بيروت: دار صادر، 1999م. ص: 276.

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا مستنا بنينا

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أينا أن نقر الخسف فينا¹⁷

كان له قبل ذلك، موقف آخر مع عمرو بن الهند، في استحكام في قضية بين قبيلتي بكر و تغلب، حكم عمرو لبكر بدون أن ينظر جانب قبيلة عمرو بن كلثوم، فقال ثائراً، يذكرهم أيامهم الغر الطوال في عصيان الملك:

"أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيناً

بأننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد روينا

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيما أن تدينا

وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحيي المحجرين¹⁸

وقد وجد في المجتمع الجاهلي بعض عرفوا ما تجلبها الحرب من الخسائر الفادحة في كلا الجانبين المتقاتلين في الأنفس والأموال، فكروها القتال، وأحبوا السلام، ودعوا الناس إليه كالشاعر زهير بن أبي سلمى المزني الذي يقول في معلقته:

"وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هي عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضري إذا ضريتموها فتضرم

فتعركم عرك الرحي بثفالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتنتم

¹⁷ عمرو بن كلثوم. ديوان عمرو بن كلثوم. تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب. ط 1. بيروت: دار الكتب العربي،

1991م. ص 90.

¹⁸ نفس المرجع، ص: 7

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فتغلل لكم ما تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم¹⁹

والشاعر بلعاء بن قيس الكناني، ينهى أبا عمرو عن الحرب، ويبين له الخسار الذي سيرثها كلا الفريقين، قائلاً:

"تهيت أبا عمرو عن الحرب لو يرى برأي رشيد أو يؤول إلى عزم

وقلت له دع عنك بكرا وحررها ولا تركبن منها على مركب وخم²⁰

هؤلاء الشعراء الذين عرفوا نكبات الحرب، كانوا يؤيدون كل محاولة لإقامة السلام بين القبائل، ولا سيما بين اللتين متقاتلتين، فالشاعر زهير بن أبي سلمى يؤلف معلقته ليمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المري لوساطتهما بين عبس وذبيان ولاحتماهما ديات القتلى، فيقول:

"يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم²¹

الحالة السياسية في عصر صدر الإسلام

رقت الحياة الاجتماعية والثقافية في هذا العصر في جميع وجوهها بفضل الإسلام. وكاد ظلام الجاهلية أن تزول أمام نور القرآن. واجه رسول الله (ص) معارضة شديدة من مشركي مكة

¹⁹ زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. شرح: الأستاذ علي حسن فاعور. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م. ص 107.

²⁰ أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى. الحماسة لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحرى. تحقيق: د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد. ط 1. أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2007م. ص 136.

²¹ زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. شرح: الأستاذ علي حسن فاعور. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م. ص 105.

حتى هاجر مع أصحابه إلى يثرب. آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، وعاهد يهود المدينة. فأصبحت المدينة مركز المسلمين. ثم شرع القتال في السنة الثالثة للهجرة، فوَقعت الغزوات والمعارك، فتطورت الدولة الإسلامية وامتد نفوذها إلى حدود بلاد الشام. لما انتقل الرسول (ص) إلى جوار الرفيق الأعلى صار أبو بكر (ر) أول الخلفاء الراشدين. ظهرت حركة الردة، ومنع الزكاة، فأعلن أبو بكر (ر) الحرب ضدهم. أما في عصر عمر بن الخطاب (ر) فصارت الدولة الإسلامية قوية ووسعت حدود الدولة وتوفر العدل والأمن. وفي آخر خلافة عثمان بن عفان (ر) ظهرت الفتنة في الدولة لأول مرة حتى انتهت في استشهاده. تولى بعده علي بن أبي طالب (ر) إمارة الدولة الإسلامية، لكنه مر بفترة صعبة وظروف مرهقة. فشل محاولاته ومحاوراته في إخماد الفتنة إلا أنها تأججت. فوقع القتال بين المسلمين لأول مرة، أولاً على قيادة عائشة (ر) في معركة الجمل وتلتها حرب الصفين بين علي بن أبي طالب (ر) ومعاوية (ر) أدت إلى ظهور جماعة سميت بالخوارج. استمرت الفتنة حتى استشهاد علي بن أبي طالب (ر) وانتهت خلافة الراشدين وقامت الدولة الأموية.

الصراع الشعري بين مكة والمدينة

هاجر رسول الله (ص) وأصحابه إلى المدينة، ولكن مشركي مكة استمروا في تمردهم وكيدهم ضد المسلمين، حتى وقعت الوقائع والغزوات بينهم. ساهم الشعراء في مناصرة كلي الجانبين بانضمامهم إلى صفوفهم حيث يهجون أعداءهم ويمدحون أحزابهم. فبرز من شعراء مكة أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن الزبير السهبي القرشي، وضرار بن الخطاب الفهري، والحارث بن هشام بن المغيرة أخو أبي جهل. إضافة إلى ذلك، انضم إلى جانب قريش أمية بن

أبي الصلّة من ثقيف والعباس بن مرداس السلمي من بني سليم. وقف بعض من يهود يثرب بجانب قريش وحاربوا الإسلام وهجوا الرسول (ص) أمثال سلام ابن أبي الحفيف وجبل بن جوال وكعب بن الأشرف. كان لرسول الله (ص) شعراؤه يردون لشعراء مكة لهجاءهم على الإسلام والرسول والمسلمين. وكان يؤيدهم ويرشدهم ويدعو لهم، وفي طليعتهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة (ر).

تأججت نار الحرب باللسان بين الجانبين. فهجا شعراء مكة الإسلام والمسلمين من الأنصار والمهاجرين، يوعدون أيامهم ينتقمون فيها لأنفسهم، ويبكون لقتلهم. فردهم شعراء الرسول بذكر الانتصارات الإسلامية والفخر بالإسلام والرسول، وهجوا قريش بهزيمتها وسوء عواقبها في الدارين، وذكروا الاستشهاد وانتظار الجنة والاعتزاز بالدين.

فهذا عبد الله بن الزبير السهبي يرثي ويبيكي قتلى بدر، بعد انهزام جيش قريش ورجوعهم بالخسار الفادح في الأنفس والأموال، فيقول:

"ماذا على بدر وماذا حوله من فتية بيض الوجوه كرام

وإذا بكى باك فأعول شجوه فعلى الرئيس الماجد بن هشام

حيا الإله أبا الوليد ورهطه رب الأنام خصه بسلام"²²

فرده الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري (ر) بأبيات يسخر عبد الله على بكائه للفاسقين، قائلا:

"ابك بكت عيناك ثم تبادرت بدم يعل غروبها سجام

ماذا بكيت على الذين تتابعوا هلا ذكرت مكارم الأقوام

²² عبد الله بن الزبير. شعر عبد الله الزبيرى. تحقيق: د/ يحيى الجبور. ط 1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1978م.

وذكرت منا ماجدا ذاهمة	سمح الخلائق صادق الأقدام
أعني النبي أخوا التكرم والندی	وأبر من يولي على الأقسام
فلمثله ولمثل ما يدعو له	كان الممدح ثم غير كهـام ²³

الفتن وتداخل الشعراء فيها

اختلف أصحاب رسول الله (ص) بعد وفاته فيمن يخلفه في سياسة الدولة الإسلامية، فعاد عصبيتهم القبلية ولو لبرهة، فادعى المهاجرون والأنصار استحقاقهم في الخلافة وقام الشعراء في تشجيع الاختلاف. لولا رحمة الله على المسلمين وتداخل أبي بكر الصديق بخطبته المشهورة لاختلفوا تماما وتنتهي بمعركة دامية. ثم بايعوا جميعا لأبي بكر بالخلافة وإمارة الدولة الإسلامية.

ظهرت حركة الردة ومنع الزكاة في عهد خلافة أبي بكر، كانت من أهم الأزمات التي واجهها أبو بكر (ر) فأعلن حربه ضدهم فظهر الشعراء من كلتا الجهتين. عادت العصبية الجاهلية في شعر المرتدين، وجاءوا يبررون الردة ودعوا إلى منع الزكاة بإدعاء أنها إتاوة تدفع لقريش. يقول الحطيئة موضحا أسباب رده:

"وإن الذي أعطيتم أو منعتم	لكا التمر أو أحلى لخلف بني فهر
أطعنا رسول الله ما كان بيننا	فيا عجبا ما بال دين أبي بكر
ليورثها بكرا إذا مات بعده	فتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بزمانه	وهلا خشيتم حس راغية البكر ²⁴

²³ حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. تحقيق: عبد الله سنده. ط 1. بيروت: دار المعرفة، 2006م. ص 250.

²⁴ الحطيئة. ديوان الحطيئة. تبويب: د. مفيد محمد قميحة. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م. ص 109.

في خلافة عثمان بن عفان (ر) عادت الفتنة بعد فترة من الزمن، ظهرت فئة تدعي أن علي بن أبي طالب (ر) أحق بالخلافة من عثمان (ر)، ثم اشتد الخلاف حتى قتل عثمان بن عفان (ر). حين استشهد أمير المؤمنين جاء حسان بن ثابت (ر) بشعره يتوعد الثائرين القتالين ويدعو الناس أن يعودوا إلى الرشد والسداد قائلاً:

"أتركتم غزو الدروب وجئتم	لقتال قوم عند قبر محمد
فلبئس هدي الصالحين هديتم	ولبئس فعل الجاهل المتعمد
وكان أصحاب النبي عشية	بدن تنحر عند باب المسجد
فابك أبا عمرو لحسن بلائه	أمسى مقيماً في بقيع الغرقد ²⁵

بويح علي بن أبي طالب (ر) أمير المؤمنين بعد مقتل عثمان (ر)، وحاول لتسكين الفتنة إلا أنها بلغت ذروتها أيام خلافته. افترق المسلمون إلى فئات واقتتلوا، فوقعت واقعة الجمل ثم الصفين.

أثناء هذه الحروب ظهرت فئة أخرى سميت بالخوارج، وقتلوا علي بن أبي طالب (ر). كانت الأمة الإسلامية تعاني البلاء العظيم والفتنة الكبرى آنذاك. انقطعت الخلافة الراشدة بعد استشهاد علي بن أبي طالب (ر). لقد واكب الشعر السياسي هذه الحروب والفتن والاضطراب مسجلاً أحداثها ومصورا حروبها. على سبيل المثال، قول كعب بن جعيل، شاعر أهل الشام يقول عن امتناع معاوية (ر) عن بيعته علي بن أبي طالب (ر):

"وقالوا علي إمام لنا	فقلنا رضيينا ابن هند رضيينا
وكل يسر بما عنده	يرى غث ما في يديه سميينا

²⁵ حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. تحقيق: عبد الله سنده. ط 1. بيروت: دار المعرفة، 2006م. ص 68.

وما في علي لمستعب مقال سوى ضمه المحدثينا

أجاب النجاشي من جانب علي (ر) ونقض ادعاء كعب، قائلا:

دعنا يا معاوي ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم علي بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

فإن يكره القوم ملك العراق فقد ما رضينا الذي تكرهونا

فقولوا لكعب أخي وائل ومن جعل الغث يوما سميना

جعلتم عليا وأشياعه نظير ابن هند أما تستحونا²⁶

²⁶ أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري. الأخبار الطوال. تحقيق: عبد المنعم عامر. ط 1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، 1960 م. ص 160-161.

الفصل الثاني

الشعر السياسي في العصرين الأموي والعباسي

الأحوال السياسية في العصر الأموي

ظهرت التصدعات في صفوف المسلمين في أواخر خلافة عثمان بن عفان (ر). ثم توسعت هذه التصدعات بعد مقتله وبعد مبايعة علي بن أبي طالب (ر) خليفة بعده حيث اشتد الخلاف بين المسلمين حتى وقعت واقعة الجمل وتلتها واقعة الصفين. أثناء واقعة الصفين ظهر حزب جديد 'الخوارج'. بعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ر)، ونزول الحسن (ر) عن الخلافة تولى معاوية بن أبي سفيان (ر) أمر الدولة الإسلامية. في هذه الفترة كان هناك عدة أحزاب سياسية ومن أهمها الهاشميون والخوارج والأمويون والقرشيون، وكان لكل حزب شعراؤه الذين يؤيدونه ويعبرون عن آرائه وأهدافه واستحقاقه للحكم. وفي نفس الوقت يهاجمون على خصومه ويشككون في حقهم للخلافة ويحطون من شأنهم ويرمونهم بالكفر والمروق عن الدين.²⁷

الشعر السياسي في العصر الأموي

تطور الشعر السياسي في هذا العصر تطورا لا نظير له في العصور السابقة، وقد ساهمت هذه الأحزاب وشعراؤهم في تطوير هذا الفن الشعري فنا مثمرا. يرى الدكتور عبد القادر القط أن الشعر العربي لم يلتزم بالسياسة التزاما حقا إلا بعد مقتل الخليفة عثمان بن

²⁷ عبد القادر القط. في الشعر الإسلامي والأموي، ط 1. بيروت: دار النهضة العربية، 1987م. ص 276.

عفان (ر) وما أعقبه من فتن وحروب أهلية متصلة حيث انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب تتنافس على السلطة.²⁸ كانت هذه الأحزاب في نزاع دائم في استحقاق الخلافة. اعتقد كل حزب أنهم أحق بالخلافة من الآخر. برز الشعراء يؤيدون حزبهم وينشرون مبادئهم وأهدافهم ويردون على معارضهم.

بنو أمية

إن حزب بني أمية أغرى الشعراء بثرائه وسخائه وإنفاقه عليهم حيث أعطى خلفاؤهم وولاتهم وعمالهم المال الطائل من مدحهم وغمروهم بالهدايا والجوائز، فاجتمع الشعراء حولهم بالمدائح والمراثي. فقد سجل في تاريخ الأدبي أسماء عدد من الشعراء الذين انقطعوا لبني أمية من أمثال: الأخطل التغلبي، وعبد الله بن الزبير الأسدي، وأبي صخر الهذلي، وأبي العباس الأعمى، ونصيب بن رياح، مولى عبد العزيز بن مروان، وعدي بن الرقاع، وأعشى ربيعة... وغيرهم.²⁹

كان الأخطل والجريير وقفا بجانب الخلفاء الأمويين قلبا وقالبا، لكن الفرزدق اتصل بهم لمصلحته المادية أو لمصلحته القبلية لا غير. فإن قصائده التي مدح بها الأمويين لم تكن غنية في عاطفتها كسائر قصائده التي مدح بها العلويين وأبناء الزبير، لخروجها عن مبدئ الإخلاص، واتصالها بالأغراض الشخصية المحض.³⁰

الشعراء الذين يدعمون الخلافة الأموية ناقشوا عن أحقية بني أمية على من سواهم، فذكروا أن الله جعل الخلافة في أيدي بني أمية لأنها لا تصلح إلا لها، فهم أشرف العرب أصلا

²⁸ عبد القادر القط. في الشعر الإسلامي والأموي، ط 1. بيروت: دار النهضة العربية، 1987م. ص: 276

²⁹ نفس المرجع، ص 132.

³⁰ قصي الحسين. العصر الأموي. ط 12. بيروت: مكتبة الهلال، 1998م. ص 58.

ومجددا وعزة وكرما. تردد في شعرهم ادعاؤهم أن بني أمية وبني مروان وولاتهم خلفاء الله على الناس، وأنهم سيوفه المسلولة لحماية الدين ونصرتة، وأنهم في سلوكهم وحكمهم يتهجون نهج النبي (ص) ونهج سابقه من الرسل، ولهذا ينصر الله على خصومهم.³¹ على سبيل المثال، يقول الفرزدق في مدح عبد الملك بن مروان مدعيا أن بني أمية ورثوا الخلافة من عثمان بن عفان (ر) :

"فالأرض لله ولاها خليفته
 وصاحب الله فيها غير مغلوب
 بعد الفساد الذي قد كان قام به
 كذاب مكة من مكر وتخريب
 راموا الخلافة في غدر، فأخطأهم
 منها صدور، وفازوا بالعراقيب
 والناس في فتنة عمياء قد تركت
 أشرافهم بين مقتول ومحروب
 دعوا ليستخلف الرحمن خيرهم
 والله يسمع دعوى كل مكروب
 فأصبح الله ولي الأمر خيرهم
 بعد اختلاف وصدع غير مشعوب
 تراث عثمان كانوا الأولياء به
 سريال ملك عليهم غير مسلوب"³²

وكان على شعرائهم أن ينقضوا زعامات خصومهم، فهجوا خصومهم هجاء شديدا. كانوا يجردونهم من كل فضل وكرم ويحكمون أنهم لا يصلحون للخلافة ولتولية إمارة المؤمنين. وأحيانا رموا خصومهم بالكفر والضلال.

³¹ أحمد محمد الحوفي. أدب السياسة في العصر الأموي. ط 1. بيروت: دار القلم، 1965 م. ص 148.

³² الفرزدق. ديوان الفرزدق. شرح: الأستاذ علي فاعور. ط 12. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987 م. ص 26.

الشيعة

اعتقد الشيعة أن علي بن أبي طالب (ر) هو الأحق بالخلافة، وأبناؤه من بعده، وأن بني أمية قد غصبوا منهم حقهم، وأن عليهم أن يجاهدوا في سبيل استردادها إلى آل علي. جعلوا الشعر وسيلة لتحقيق غايتهم فنشروا به أفكارهم وآراءهم الدينية والسياسية. ومن أهم شعرائهم: أبو الأسود الدؤلي، الكميت بن زيد الأسدي، وكثير عزة. يعد الكميت أبرز شعرائهم في هذا العصر.³³

استغل الشعراء حب الناس لآل البيت فعبروا في أبياتهم حبهم الخالص لآل البيت وتغنوا بفضائلهم على من سواهم، حتى أقنعوا السامعين أن الحب لآل البيت من الأخلاق المحمودة. أحيانا استدلوا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات حق الخلافة لآل البيت. يقول أبو الأسود الدؤلي:

وعباسا وحمزة والوصيا	"أحب محمدا حبا شديدا
أجىء إذا بعثت على هويا	أحبهم لحب الله حتى
أحب الناس كلهم إليا	بنو عم النبي وأقربوه
وفيمهم أسوة إن كان غيا" ³⁴	فإن يك حبهم رشدا أصبه

كان شعراؤهم يهجون سائر الأحزاب السياسية أشد الهجاء، ولا سيما بنو أمية في سوء مواقفهم وإيذائهم إياهم. كان بنو أمية يمارس سياسة عنف وشدة في مواجهة الشيعة. عرضوا أصحاب التشيع بأنواع من العذاب، وقمعوا ثوراتهم بأبشع صورة، فقتل كثير منهم

³³ عبد القادر القط. في الشعر الإسلامي والأموي، ط 1. بيروت: دار النهضة العربية، 1987م. ص 278.

³⁴ أبو العباس المبرد. الكامل في اللغة والأدب. تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط 3. ج 3. القاهرة: دار الفكر العربي،

1997م. ص 151.

في حوادث مختلفة. قام شعراؤهم برثاء وبكاء على آل البيت وقادة الشيعة ودعاتهم الذين قتلوا بأيدي بني أمية، فسجلوا الحوادث وعبروا عن حزنهم وألمهم بألفاظ تشق القلوب وتثير عواطف الناس وتملاً في نفوسهم الغضب على الأمويين. قد بكوا منذ مقتل علي بن أبي طالب (ر)، وتتابعت الأحداث فبكوا لزعمائهم وأنصارهم الذين استشهدوا في معارك شتى في أيام خلفاء بني أمية. لقد وردت مرثيات كثيرة في استشهاد زعمائهم وأفرادهم التي تمزج في طياتها الحزن والثورة.

الخوارج

ظهرت هذه الفئة في العالم الإسلامي خلال معركة الصفين، وحين تم الموافقة بين علي بن أبي طالب (ر) ومعاوية (ر) في تعيين الحكم من كلا الجانبين، وأختير عمرو بن العاص (ر) وأبو موسى الأشعري (ر) حكماً من كلي الجانبين. فقام قوم من جانب علي بن أبي طالب (ر)، وادعوا أن علياً أضاع حقه الشرعي في الخلافة بقبوله بالتحكيم ورفعوا شعار "إن الحكم إلا لله" وأعلنوا تمردهم وخروجهم من طاعة علي (ر). ثم وقعت معارك بينهم وبين علي بن أبي طالب (ر). فأعلنوا أن علي بن أبي طالب (ر) وأتباعه ومعاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري (ر) جميعهم أعداء ظاهراً لهم. فاجتمع جميع فرقهم على تكفير علي ومعاوية (ر) وأتباعهما. وأمن أكثرهم أن الخروج على الإمام الجائر من الواجبات الدينية. فادعوا أن الخلافة حق مشترك بين المؤمنين حيث يتولاه الصالح للنهوض به، من أي جنس أو طبقة. فلا يشترط أن يكون الخليفة عربياً، ولا قرشياً ولا هاشمياً ولا أموياً.³⁵ اعتقدوا أن علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري (ر) هم السبب

³⁵ صلاح الدين الهادي. اتجاهات الشعر في العصر الأموي. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1986م. ص: 165

لخلاف المسلمين، فاستمر بعض منهم لقتلهم ونجحوا في قتل علي بن أبي طالب (ر)، ونجا معاوية وعمرو بن العاص (ر) من قبضتهم. ولما استقر الحكم للأمويين بدؤوا ينتقمون منهم بالعنف.³⁶

كان شعراء الخوارج يحرضون على الخروج من طاعة علي ومعاوية لأنهما أجرما بمشاركتهما في قضية التحكيم، ويدافعون عن أعدائهم من بني أمية والشيعية والخوارج والزيبريين، وكان الطرماح بن الحكيم أشهرهم. أما أهم قضية عرضها شعراؤهم فهي قضية التحكيم، يقول فروة بن نوفل، وهو يعلن أنه لا رجوع إلى علي بن أبي طالب (ر) بعد أن فارقه بعد قضية التحكيم، ويلوم علي بن أبي طالب (ر) على أنه حكم عمرا وأبا موسى الأشعري (ر) في كتاب الله، قائلاً:

"كرهنا أن نريق دما حلالا	فهيهات الحرام من الحلال
نقاتل من يقاتلنا ونرضى	بحكم الله لا حكم الرجال
وفارقنا أبا حسن عليا	فما من رجعة أخرى الليالي
فحكم في كتاب الله عمرا	وذاك الأشعري أبا الضلال" ³⁷

هجا شعراؤهم خصومهم أشد الهجاء، فأنذروهم بسوء العاقبة، وافتخروا في قتل علي بن أبي طالب (ر)، وادعوا أن علي بن أبي طالب (ر) ومن بايعوه فقد كفروا بقبولهم بالتحكيم. ولكن بعد تأسيس دولة بني أمية تحول الهجاء إلى خلفاء بني أمية وولاتهم حيث حرضوا الناس للقتال ضد بني أمية.

³⁶ قصي الحسين. العصر الأموي. ط 12. بيروت: مكتبة الهلال، 1998م. ص 93.

³⁷ إحسان عباس. شعر الخوارج. ط 2. بيروت: دار الثقافة، 1974م. ص 42.

لقد كثر الرثاء لدى شعراء الخوارج لكثرة مواقعهم مع أعدائهم من بني أمية والأحزاب الأخرى. ولكنهم يختلفون من الشيعة في أساليبهم حيث اعتقدوا أن الموت نجاة من إيذاء الدنيا. فكانوا يهنؤون قتلاهم على فوزهم بالشهادة ونجاتهم من إيذاء الدنيا، يقول شاعرهم الطرماح بن الحكيم:

"إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى وصاروا إلى موعود ما في المصاحف
فأقتل قعصا ثم يرمى بأعظمي كضغث الخلا بين الرياح العواصف
ويصبح لحمي بين طير مقيله دوين السماء في نسور عوائف"³⁸

الحزب الزبيري

ظهر هذا الحزب على قيادة عبد الله بن الزبير بن العوام (ر) في أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان (ر) حين عزم معاوية (ر) على أن يعلن ابنه يزيد ولي عهده. جهر ابن الزبير (ر) معارضته الشديدة لهذه البيعة، وخيّر معاوية بين ثلاث أن يصنع كما صنع رسول الله (ص) أو كما صنع أبو بكر (ر) أو كما صنع عمر بن الخطاب (ر). ثم في عهد يزيد بن معاوية بعد الحروب الشديدة ارتفع شأنه ولا سيما بعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب (ر) فاتسع نفوذه في مكة والمدينة، حتى أعلن نفسه خليفة بعد وفاة يزيد بن معاوية ولقب نفسه أمير المؤمنين. نشبت عدة حروب بينه وبين بني أمية في أيام مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان، حتى قتل ابن الزبير (ر) في معركة طاحنة على قيادة الحجاج بن يوسف الثقفي أيام الخليفة عبد الملك بن مروان.

³⁸ إحسان عباس. شعر الخوارج. ط 2. بيروت: دار الثقافة، 1974 م. ص: 238

كان حزب ابن الزبير (ر) من أفقر الأحزاب في اجتذاب الشعراء إلى جانبهم، فلا نجد من الشعراء من انقطع في مدحهم والإشادة بهم وينشر مبادئهم إلا عبيد الله بن قيس الرقيات. بسبب أن دعوى ابن الزبير إنما هي انعكاس للعصبية القرشية والإقليمية، أما الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات، فباعثه لوقوفه مع ابن الزبير (ر) حبه لموطنه الحجاز لا غير. ويذكر الرواة انقطاع شاعرين آخرين لآل الزبير: أبو وجزة السعدي، وإسماعيل بن يسار النسائي.³⁹ شعراء الحزب الزبيري حفلوا شعرهم بفضائل قريش ومناقبهم واستحقاقهم بالخلافة ممن سواهم. وصوروا ابن الزبير حاكما عادلا ومؤمنا ومحسنا. ادعوا أن الخلافة حق لقريش، وابن الزبير أحق للخلافة لأنه من سادة قريش. يقول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات:

"وابن أسماء خير من مسح الر كمن فعالا وخيرهم بنيانا

وإذا قيل من هجان قريش كنت أنت الفتى وأنت الهجانا"⁴⁰

اتجه عبيد الرقيات اتجاهها طريفا في هجائه على بني أمية يطلق عليه 'الغزل الهجائي' أو 'الغزل الكيدي' أو 'الغزل السياسي'. الغزل الذي لا يصدر عنه تعبيرا عن عاطفة الحب، بل لإغاضة الخصوم، كما قال الشاعر مشبها بأم البنين، زوج الوليد بن عبد الملك:

"أصحوت عن أم البني ن وذكرها وعنائها

وهجرتها هجر امرئ لم يقل صفو صفائها"⁴¹

³⁹ صلاح الدين الهادي. اتجاهات الشعر في العصر الأموي. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1986م. ص 208-209.

⁴⁰ عبيد الله بن قيس الرقيات. ديوان عبيد الله الرقيات. تحقيق: د. عزيزة فوال بابتي. ط1. بيروت: دار الجيل، 1995م.

ص 211

⁴¹ نفس المرجع، ص: 223

أما في الرثاء، فلم يقل شعراؤها إلا قليلا. أجود ما قيل في الرثاء قول عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير، يقول:

"إن الرزية يوم مسـ
 كن والمصيبة والفجيعة
 بابن الحواري الذي
 لم يعده أهل الوقيعه
 غدرت به مضر العرا
 ق وأمكننت منه ربيعه"⁴²

الشعر السياسي في العصر العباسي

ازدهر الشعر السياسي في عهد بني أمية لوجود أحزاب سياسية عديدة تتنافس للتمكن على الحكم مثل الشيعة والخوارج والزييريين. بعد معارك دامية قضى بنو أمية على معظم هذه الأحزاب، فلم يبق منها إلا العلويون والعباسيون. كانت العلوية والعباسية تحاربان في صف واحد في أيام بني أمية لاسترداد الخلافة إلى آل رسول الله (ص). ولكن حين استولى العباسيون على مقاليد الخلافة بدأ التصدع في صفوفهم حيث اعتقد الشيعة العلويون أن بني العباس قد اغتصبوا الخلافة منهم. وردهم العباسيون بأنهم أحق بالخلافة منهم. اشتد الخلاف بينهم بعد ثورة محمد بن عبد الله الملقب 'بالنفس الزكية' فقاتله جيش الخليفة المنصور حتى قتل بعد معركة عنيفة. لم تهدأ حركة العلويين بعده بل تكاثرت فرقتهم وظل كل فريق في مقاومة العباسيين سرا وعلانية، إلا أن العباسيين عنفوا في مواجهتهم وقمعوا ثوراتهم بما يتمتعون به من الملك والجيش.

⁴² عبيد الله بن قيس الرقيات. ديوان عبيد الله الرقيات. تحقيق: د. عزيزة فوال بابتي. ط1. بيروت: دار الجيل، 1995م.

من أهم مظاهر الشعر السياسي في هذا العصر شعر الحرب. فقد نبغ كثير من الشعراء في هذا المجال أمثال أشجع السلمي الذي مدح هارون الرشيد في انتصاره على الروم وفتح مدينة هرقل، وأبو تمام الذي مدح الخليفة معتمد في انتصاره في معركة العمورية، إلا أنه ضعف بعد فترة وانحط عن الدرجة التي وصل إليها في عصر بني أمية. "والأسباب التي دعت إلى ذلك وقوف الفتوح حيناً وفتور البطولة حيناً آخر والقواد الأعاجم والشعر الأعاجم."⁴³ وقد وجد هناك نوع آخر من الشعر السياسي مدح به الأمراء والوزراء أو رؤساء القبائل من غير العباسيين.

شعراء العباسيين

قام معظم شعراء هذا العصر مع العباسيين حيث كان الملك بأيديهم فطمعوا فيه ومدحوهم وهجوا خصومهم من فرق العلويين. وأيدوا مواقفهم السياسية وحرصوا جهودهم وقتالهم في قمع الثورات والفتن. وكان في مقدمتهم الشعراء أبو دلامة ومروان بن أبي حفصة وسلم الحاسر ومروان بن أبي الجنوب وعلي بن يحي المنجم وأبو بكر الصولي وغيرهم. لقد كان لهؤلاء الشعراء دور حاسم في استمالة نفوس عامة الناس إلى الخلفاء العباسيين. فادعوا أن الخلافة حق بني العباس وليس للعلويين أي حق عليه، وأكدوا أن الخليفة ليس حاكم سياسي فحسب بل هو إمام المسلمين الديني يجب عليهم اتباعه، وحاولوا أن يوهمو الناس أن أبا جعفر المنصور هو المهدي المنتظر.⁴⁴ يقول مروان بن أبي

⁴³ زكي المحاسني. شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة. ط2. مصر: دار المعارف، 1961م. ص 144.

⁴⁴ محمد مصطفى هدارة. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري. ط1. القاهرة: دار المعارف، 1963م. ص 379.

حفصة في مدحه للخليفة المهدي وهو يرد على العلويين ويؤيد حق العباسيين في الخلافة
مستدلاً بآيات القرآن قائلًا:

"هل تطمسون من السماء نجومها
بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربكم
جبريل بلغها النبي فقالتها
شهدت من الأنفال' آخر آية
بتراثهم فأردتم إبطالها"⁴⁵

شعراء الشيعة

كان شعراء الشيعة يخافون البطش العباسي الشديد فكتبوا أشعارهم في معظمها ولم
يعلنوا منها إلا نادراً. لقد سار فريق منهم يمدحون الخلفاء العباسيين تقيّة وغير مخلصين
ويبالغون في مديحهم حتى ليصبحوا كأنهم من دعائهم.⁴⁶ أما الفرقة الكيسانية من فرق
الشيعة، فقد تنازل زعيمهم أبو هاشم بن محمد بن الحنفية للعباسيين عن الخلافة، فوقف
شعراؤهم مثل السيد الحميري في صفوف العباسيين.⁴⁷

حين انتصر الثورة العباسية واستولى العباسيون على مقاليد الخلافة، فرح شعراء الشيعة
من كل فرق لأنهم ظنوا أن العباسيين سيشاركونهم في الخلافة. فظهروا في أول الوهلة
يساندونهم ويمدحونهم ويحرضونهم للانتقام من الأمويين ونادوا لإعدامهم، بعدما يؤسوا
منهم جاؤوا يحرضون الناس للثورة على العباسيين لاسترداد الخلافة إلى آل البيت. الشاعر

⁴⁵ مروان بن أبي حفصة. شعر مروان بن أبي حفصة. تحقيق: د. حسين عطوان. ط3. القاهرة: دار المعارف، 1982م.

ص 99.

⁴⁶ شوقي ضيف. العصر العباسي الأول. ط 6. مصر: دار المعارف. ص 291.

⁴⁷ نفس المرجع، ص: 305

سديف بن ميمون خير مثال لهذين الموقفين، إذ حرض أبا العباس السفاح لقتل الأمويين
قائلاً:

"لا يغرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا"⁴⁸

ثم في خلافة أبي جعفر المنصور، بعد يأسه من العباسيين نظم كثيراً من الأبيات محرضاً
ثورة 'النفوس الزكية' الذي ثار ضد العباسية في المدينة، قائلاً:

"إننا لنأمل أن ترتد ألفتنا بعد التباعد والشحناء والإحن

وتنقضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتكم نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يابني الحسن"⁴⁹

ومن أبرز شعراء الشيعة ديك الجن، ودعبل الخزاعي ومحمد بن صالح العلوي، والحماني
العلوي، والمفجع البصري، وغيرهم. وادعوا في شعرهم أن أهل بيت الرسول (ص) هم أولى
الناس بالخلافة وأن العباسيين قد غصبوا منهم الحق. فكتبوا أشعارهم في الهجاء والمديح
والرثاء وسعوا في استثارة النفوس واستمالتها إلى حب آل البيت وعطفها نحو العلويين.⁵⁰
فمنذ عهد أبي جعفر المنصور بدؤوا يعانون بطش العباسيين وعنقهم. فقبض المنصور على
عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وسجنه حتى توفي في سجنه، ثم قتل ابنه محمد بن

⁴⁸ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده. ط2. مصر: مطبعة السعادة، 1955م.

ص 62.

⁴⁹ نفس المرجع، ص: 74

⁵⁰ محمد مصطفى هدارة. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري. ط1. القاهرة: دار المعارف، 1963م. ص 389.

عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية إثر ثورة قادها في المدينة، وابنه الآخر إبراهيم في

باخمري قريبا من الكوفة. يقول الشاعر دعبل الخزاعي ويذكر تلك الحوادث:

وأخرى بفتح يا لها صلوات

"قبور بكوفان وأخرى بطيبة

وقبر بباخمري لدى الغربات"⁵¹

وأخرى بأرض الجوزجان محلها

⁵¹ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط 1. ج 3. بيروت: المكتبة العصرية، 2005م. ص 246.

الفصل الثالث

الشعر السياسي في العصرين الحديث والمعاصر

تطورت أغراض الشعر العربي خصوصاً الشعر السياسي في العصر الحديث تلبية لمتطلبات العصر. في بداية القرن التاسع عشر بدت مظاهر الضعف في الحكم العثماني في الوطن العربي حيث واجه ثورات عديدة من قبل القوات الداخلية والخارجية. تمكنت للحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت للسيطرة على مصر ولو لمدة قصيرة. لم تهدأ مطامع الفرنسيين بالسيطرة على مصر بل احتلوا البلدان العربية واحدة تلو أخرى. ثم جاء على أثرهم البريطانيون وسائر أوطان أوروبا حتى سقطت البلدان العربية معظمها في أيدي المستعمرين المحتلين. كانت حياتهم في هذه الحقبة ممتلئة بمعاناة شتى حيث منعت الحرية وعم الفقر، وثقلت عليهم الضرائب التي فرضتها الحكومات الظالمة حيناً فحيناً. ولما ثار الناس لاسترداد حريتهم أذاقتهم الحكومات أنواعاً من العذاب لقمع الثورات. فقام الشعراء بأبياتهم وقصائدهم لتحريض الشعب المكافح في سبيل حريتهم واستقلال وطنهم فسجلوا ثوراتهم وأحداث سياسية ووطنية ذات اهتمام.

في منتصف القرن التاسع عشر خاضت الدولة العثمانية عدة حروب مع الروسية. شارك الشعراء العرب فيها بأشعارهم الحماسية التي حرضت أبناء الأمة للذود على الإسلام، وكان

من هؤلاء الشعراء أحمد فارس الشدياق، وعبد القادر الجزائري، وعبد الله فكري، وعمر الأنسي، وعبد الباقي العمر، ومحمود سامي البارودي، وعبد الجليل البرادة وغيرهم.⁵²

منذ أواخر القرن التاسع عشر بدأت هجرة جماعات من أبناء البلاد العربية إلى بلدان أمريكا الشمالية والجنوبية، ولا سيما من لبنان وسوريا. وكان من أهم أسبابها جور الحكام الأتراك وانحطاط الوضع الاقتصادي في تلك البلاد. وبين تلك الجماعات المهاجرة كانت طائفة من الشبان تطمع قلوبهم للحرية، ويعز عليهم أن يعيشوا أسرا للظلم والجور.⁵³ ثار شعراؤهم ضد الحكومة وأعربوا عن حبهم للوطن وحنينهم إليه وسخطهم ضد الاستبداد وعدم الحرية السائدة في البلاد، وفي مقدمتهم الشعراء فوزي معلوف ورشيد سليم الخوري ورشيد أيوب وإيليا أبو ماضي وغيرهم. على سبيل المثال يقول رشيد أيوب منتقدا الحكام العثمانيين:

"يقولون إن الترك أسد أشاوس كماة ذووا بطش اذا اقتحموا حربا

فأين كماة الترك كانوا لدى الوغى ولم يدفعوا البلغار عنهم ولا السربا

فما هو إلا الجهل مد بساطه عليه وأرخی من غياهبه حجبا"⁵⁴

حين استولت دول أوروبا على البلاد العربية، وامتصت خيراتها وسلبت ثرواتها ودفعتها إلى الفقر والحرمان وجعلت على أيديهم أغلالا وسلاسل، قام الشعراء العرب ضد جور الاستعمار. فنظموا أشعارا كثيرة حيث يستنهضون الشعب العربي من سباتهم ويثيرونهم ضد

⁵² منال سليم النخال. الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر هجري أغراضه- ظواهره- اتجاهاته-

قضاياها. ماجستير. كلية الآداب- الجامعة الإسلامية- غزة. 2013م. ص 307.

⁵³ د. عيسى الناعوري. أدب المهجر. ط3. مصر: دار المعارف، 1966م. ص 17

⁵⁴ رشيد أيوب. الأيوبيات. لبنان: دار صادر، 1959م. ص 135.

قوات الاحتلال ويوطدونهم في مكافحتهم في سبيل تحرير أوطانهم من المستعمرين. كما يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة:

"ياقوم هبوا لاغتنام حياتكم فالعمر ساعات تمر عجالا

الأسر طال بكم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطموا الأغلالا"⁵⁵

كانت الثورة العربية من أعظم مكافحات الشعب المصري ضد استعمار بريطانيا. وقد شارك الشعراء فيها وسجلوا أحداثها وحرصوا أصحابها بقصائدهم، وكان في مقدمتهم الشاعر محمود سامي البارودي الذي حارب بالسيف والقلم. سافر الشاعر السوداني الشيخ يحيى السلاوي إلى القاهرة واتصل بعراقي رائد الثورة. فطلب العراقي منه مناصرته للثورة بشعره، فكتب بائته التي بلغت تسعة وتسعين بيتا لتحريض الثائرين المكافحين. يقول فيها:

"شغل العدا بتشتت الأحزاب والله ناصرنا بسيف عربي

والقطر فيه من الرجال كفاءة للحادثات منهم أولو الألباب

وحمية الإسلام تقضي بالوفا حتما على كل امرئ أواب

ومحبة الوطن العزيز تحثهم والفتح أذن باتباع صواب"⁵⁶

ثار الشاعر معروف الرصافي ضد الاحتلال البريطاني للعراق. فنظم شعره المشهور 'الحرية في سياسة المستعمرين' ليكشف عن سوء سياسة البريطانيين الذين قمعوا الشعب العراقي بأساليب العنف والشدة ومنعوا حريتهم واستقلال دولتهم، تحريضا للشعب العراقي في

⁵⁵ محمد آل خليفة. ديوان محمد العيد آل خليفة. ط1. الجزائر: دار الهدى، 2010م. ص 307.

⁵⁶ عبده بدوي. الشعر في السودان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981م. ص 32.

نضاله المستمر ضدهم. فيصف الحرية التي يتمتع بها الشعب العراقي أثناء الانتداب البريطاني ويسخر منها قائلاً:

"يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا ما فاز إلا النوم
وتأخروا عن كل ما يقضي بأن تتقدموا"⁵⁷

في تونس، دعا الشاعر أبو القاسم الشابي شعبه واستنهضه للثورة ضد الاحتلال والاستبداد، بأبيات تثير القلوب وتشعل طمعهم للحياة مع الحرية وتندر الحكام المستبدين. حرض الشعب المقاوم للثبوت في مكافحتهم ضد المستعمرين حيث غرس في قلوبهم بذور الأمل والتفاؤل، فيقول:

"إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر"⁵⁸

كانت لحادثة دينشواي صداها في أشعار مصر. قام الشعراء يهجون بريطانيا في سوء سياستها وقتلها الأبرياء. كان في مطلعهم شاعر النيل حافظ إبراهيم حيث كتب قصيدته التي يخاطب بها المستعمرين ويسخر منهم فيما فعل جيشهم بالأناس الأبرياء في دينشواي، قائلاً:

"أيها القائمون بالأمر فينا
هل نسيتم ولاءنا والوداد
خفضوا جيشكم وناموا هنيئاً
وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاداً

⁵⁷ معروف الرصافي. ديوان معروف الرصافي. القاهرة: مؤسسة الهمداني، ص 649.

⁵⁸ أبو القاسم الشابي. ديوان أبي القاسم الشابي. ط 4. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م. ص 70.

وإذا أعوزكم ذات طوق بين تلك الربا فصيدوا العبادا
 إنما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقنا الأجيادا"⁵⁹

أما أمير الشعراء أحمد شوقي فكان مع الشعب في مصائبه، كان ينظم في جميع حوادث سياسية وقعت في مصر، وينشرها في الجرائد. في سنة 1904م حين خطب مصطفى رياض رئيس الوزارة المصرية حينئذ في حفلة ومدح أعمال كرومر المندوب البريطاني وامتدح الاحتلال البريطاني، ثارت عواطف شوقي وكتب:⁶⁰

"خطبت وكنت خطبا لا خطيبا أضيف إلى مصائبنا الجسام
 لهجت بالاحتلال وما أتاه وجرحك منه لو أحسست دامي"⁶¹

وكان لقضية فلسطين أثر بالغ في نفوس الشعراء فكتبوا في المأساة التي اعترت الوطن العربي وعن جور دول الاستعمار وخيانتها ودورها في تنصيب الصهاينة في الوطن العربي. فجاءوا بأبياتهم مواساة للشعب وتحريضا في سبيل المكافحة في استرداد الوطن من أيدي الصهيونية المحتلة. فهددوا الصهيونية والاستعمار بأبيات تهزم القنابل والرصاص. "اتصف شعر البلاد المحتلة بالعاطفة الوجدانية الواعية وبتجاوب مع المشكلات اليومية التي تواجه العرب في ظل احتلال صهيوني مستبد يهدف إلى اقتلاع جذور العرب طمس شخصيتهم القومية، واتصف هذا الأدب بالالتزام السياسي والاقتران بالظروف الاجتماعية للأقلية العربية داخل إسرائيل."⁶² وقد ساهم الشعراء إبراهيم طوقان، وتوفيق زياد، ونزار قباني، ومحمود

⁵⁹ حافظ إبراهيم. ديوان حافظ إبراهيم. ط 3. مصر: دار الغد الجديد، 1987م. ص 334.

⁶⁰ شوقي ضيف. الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور. ط 2. القاهرة: دار المعارف، 1977م. ص 196.

⁶¹ أحمد شوقي. ديوان أحمد شوقي. ج 1. بيروت: دار صادر، 2007م. ص 212.

⁶² أدونيس. زمن الشعر. مصر: دار الساقى للطباعة والنشر، 2005م. ص 116-117.

درويش، وسميح القاسم وغيرهم في تطوير الأدب الفلسطيني المقاوم. يقول الشاعر محمود درويش:

"سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم... سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟"⁶³

ثم تطورت الأوضاع وانسحبت القوات المستعمرة من الوطن العربي مسلمة الحكم إلى أيدي المستبدين اللاعبين حسب إرشاداتهم، فلم تزل الحرية والحياة بعيدة عن أكف الشعب في بعض الدول. وقسم العالم العربي إلى دويلات وقعت معظمها تحت حكم المستبدين. منعوا الحرية وقمعوا شعبيهم وعاقبوا كل من يعبر آراء يخالف آراءهم. تداخل الشعراء في القضية فهجوا الحكام المستبدين وأشادوا بالديمقراطية والحرية والإنسانية وكان في مقدمتهم الشاعر أحمد مطر.

ثورة الياسمين

حينما هبت الأمة العربية من سباتها في عصر الربيع العربي وتنادت إلى الديمقراطية وثارَت ضد الاستبداد والملوكية التي تعانها الأوطان العربية منذ حقبات طويلة ساند الشعراء

⁶³ محمود درويش. الديوان الأعمال الأولى 1. ط 2. بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، 2009م. ص 80.

الثورة وحرصوا الثائرين قلبا وقالبا. نجحت تلك الثورات في بعض البلدان كاملة حيث تم إقلاع الحكام المستبدين الطغاة من كرسية الحكم وجزئية في بعض أخرى. فقد تأثر الثوار من أشعار مشهورة ألفت في مختلف العصور السابقة، ومما يجدر بالذكر قصيدة 'إرادة الحياة'⁶⁴ للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، وترددت أبياتها في المظاهرات والتجمعات الصاخبة لسقوط الطاغية وفلاح الديمقراطية حتى صارت رمزا من رموز هذه الثورة.

لا ريب أن نخبة من الشعراء الذين عاصروا الثورة وعانوا مأساة الثوار والشعب تحت الحكام المستبدين نهضوا وحرصوا الشعب وسجلوا أحداثها بأبيات بالغة التأثير، وساهموا في إضرام نار الثورة في مختلف أنحاء العالم بأشعارهم الثورية. أما المستبدون فواجهوا الشعراء بعنف حتى اجترؤوا للاعتقال والقتل كما فعلوا، على سبيل المثال، الشاعر السوري إبراهيم قاشوش الذي نشط في قيادة المظاهرات التي تطالب إسقاط الرئيس السوري بشار الأسد. ألف أناشيد مؤثرة لتحسيس الثوار وأنشدها أمام الجماهير في ساحة العاصي ومن بينها أنشودته الشهيرة 'يلا ارحل يا بشار'، إلا أن الجيش السوري بادر باعتقاله وإعدامه سرا.⁶⁵

في مصر ساير الشاعر فاروق جويده الثورة منذ اندلاعها وكتب أشعارا تحمس الثوار وتضرب المستبد.⁶⁶ في قصيدته 'الأرض قد عادت لنا' يخاطب الرئيس المصري السابق حسني مبارك ويطلب منه أن يرحل من مصر، ويناديه ساخرا منه وثائرا عليه 'يا فرعون' لما وجد من

⁶⁴ أبو القاسم الشابي. ديوان أبي القاسم الشابي. ط 4. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م. ص 70.

⁶⁵ إبراهيم قاشوش.. حنجرة الثورة المقتلعة. القبس. 13 مارس 2017م. 20 ديسمبر 2021م

www.alqabas.com/article/369313-إبراهيم-قاشوش-حنجرة-الثورة-المقتلعة

⁶⁶ فاروق جويده. ويكيبيديا الموسوعة الحرة. 20 ديسمبر 2021م. فاروق جويده - ويكيبيديا (wikipedia.org)

التشابه بينه وبين فرعون الطاغي الذي حكم مصر واستعبد بني إسرائيل في قمع الشعب وتعذيبهم. ويدعي أنه ينتظر العاقبة التي ذاقها فرعون سيتكرر أيضا في أمر هذا الطاغي.

"يا سيدي الفرعون

هل شاهدت أحوال المدينة ؟

الناس تصرخ في كهوف الظلم

والأيام موحشة حزينة

ومواكب الكهان تنهب في بلاطك...

والخراب يدق أرجاء السفينة

والموت يرسم بالسواد زمانك الموبوء"⁶⁷

الشاعر المصري عاطف الجندي، أعلن تضامنه مع الشعب الليبي في مكافحته للحرية في قصيدته 'يا كل ليبيا' الذي تم نشرها في موقع ديوان العرب عام 2012م. حرض الثائرين ووصف المستبد لصا يسرق أموال البلد ويخون الشعب ويمنعهم من الحالة الاقتصادية السليمة، قائلا:

"من قلب بنغازي العنيدة ثورة قامت تبديد جحافل الأوغاد

من كل لص سارق لبلاده أو خائن ومداهن أو سادي

هذا العميل فمن رأى فضلاله غير التخلف، ظاهرا وعناد

⁶⁷ فاروق جويدة. الأرض قد عادت لنا. الجزيرة. 13 فبراير 2011م. 20 ديسمبر 2021م.

www.aljazeera.net/news/cultureandart/2011/2/13 الأرض-قد-عادت-لنا

لا قول نفهمه لــــه أو فعلة تبدي ودادا بيننا فننادي

أن يتركــــوه بعقله هذا الذي أودى بأخضر حلمنا لرماد⁶⁸

اشتهر عبد الرحمن يوسف عبد الله القرضاوي بقصائده الموسومة بالهجاء المباشر للنظام الحاكم في مصر. نشر عدة دواوين تعالج القضايا السياسية والاجتماعية. ديوانه المشهور 'مسبحة الرئيس' تحتوي على أشعار سياسية ثورية كتبها في فترة ما قبل الثورة الياسمينية أو قبيل اندلاعها. ومن المؤكد أنه كان لها دور حاسم في ثورات العرب كما يدعي في مقدمة هذا الديوان.⁶⁹ على سبيل المثال، قصيدة 'الهاتك بأمر الله' هجا بها الحاكم المصري السابق حسني مبارك هجاء لاذعا، ومطلعه:

"يا من لعرضي هتك فقدت شرعيتك

من ربع قرن كتيب لعنت طلعتك

أموالنا لك حل فاملأ بها جعبتك

خلف الحراسة دوما مستعرض قوتك⁷⁰

يسخر الشاعر في قصيدته 'رسالة في فنون الضرب' من الحاكم المستبد الذي يتفنن في صب العذاب على الشعب لقمع أصوات ترفع ضد حكومته. يقول فيها:

"اضرب... فلسنا نخاف السوط والوجعا

اضرب... لأنك تبدو خائفا جزعا

⁶⁸ عاطف الجندي. يا كل ليبيا. ديوان العرب 18 شباط 2012م. 15 مارس 2022م.

يا كل ليبيا - ديوان العرب (diwanalarab.com)

⁶⁹ عبد الرحمن يوسف. مسبحة الرئيس. ط2. القاهرة: دار الشاعر للنشر والتوزيع، 2012م. ص 5.

⁷⁰ نفس المرجع، ص: 9

يا من بدى بارعا في ضرب إخوته

لكن بضرب عدو الأرض ما برعا"⁷¹

واصل الشعر السياسي سيره خلال الثورة. تقدم كثير من الشعراء في التأليف والإنشاد أمثال عبد المعطي الحجازي، عبد الرحمن العشماوي، وأولاد أحمد. فمنهم من باشر بالهجاء السياسي و منهم من استخدم الرموز. ظهر بجانبهم كثير من شعراء الجيل الجديد تحريضا للثوار وتحذيرا للطغاة، كثر عددهم غير أنهم اعتمدوا على مواقع التواصل الإلكتروني مثل فيس بوك وتويتر لنشر قصائدهم.

⁷¹ عبد الرحمن يوسف. مسيحة الرئيس. ط2. القاهرة: دار الشاعر للنشر والتوزيع، 2012م. ص 67-68.

الباب الثاني: أحمد مطر: مشواره الشعري

الفصل الأول: أحمد مطر: مولده ونشأته

الفصل الثاني: أحمد مطر: بواعثه الشعرية

الفصل الثالث: أحمد مطر: إبداعاته الشعرية

الفصل الأول

أحمد مطر: مولده ونشأته

حياته في العراق

هو أحمد حسن مطر، ولد في أسرة فقيرة تسكن في قرية التنومة إحدى نواحي شط العرب في البصرة سنة 1956م. كان ابنا رابعا في أسرته التي تتكون من عشرة إخوة من البنين والبنات.⁷² ثم انتقلت الأسرة إلى محلة الأصمعي وكان صبيا. التحق في مدرستها- المدرسة العدنانية- وأكمل دراسته الابتدائية فيها. ثم انتقل إلى منطقة الزعفرانية بسبب فقر أسرته فعاش مع أخيه الأكبر، والتحق في مدرسة متوسطة بها. في هذه المرحلة بدت عبقريته حيث كتب قصصا قصيرة ومقالات ومسرحيات ورسوما كاريكاتورية فصار نجما بين زملائه، ولا سيما بعد فوزه في بعض المسابقات المدرسية. لقد صرح الشاعر في حوار مع مراسل جريدة العالم أن معظم ما كتبه في صغره صار من الممتلكات الخاصة بالنسيان، بل أكثرها ضاعت على مر الزمان، ويؤكد قائلا: "إن قصائدي الأولى لم تخرج عن نطاق الغزل، وذلك أمر طبيعي لصبي..."⁷³

لم يستطع الشاعر أن يواصل دراسته بسبب ظروف الحياة وقسوتها. فأوى إلى القراءة ليسد بها ما فاتته من العلوم. فأكب على دواوين الشعراء القدامى والمحدثين وكتب الآداب والمقالات

⁷² كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 49.

⁷³ عبد الرحيم حسن. لقاء مع أحمد مطر. العالم عدد 185، لندن 29 أغسطس 1987م. ص 52.

الاجتماعية والسياسية ووجد منها ما يصلح همته وموهبته ولغته. كان محب القراءة منذ صغره، وكانت بيئته العراقية أيضا تشجع على القراءة حيث تباع في أزقتها الكتب بأسعار منخفضة. فابتاع الكتب ويكب على قراءتها. يقول الصحفي فائق منيف في مقالة أعدها بعد حوار مع الشاعر إنه في تلك الأيام قد ألزم نفسه بقراءة ثلاثة كتب يوميا بدون اهتمام حجم الكتاب وعدد صفحاتها. وفي سنة الثانية عشرة طلب من مدير المدرسة خطابا يعينه على استعارة الكتب من المكتبة العامة. تعجّب مدير المدرسة مصطفى وسأله عما إذا كانت مكتبة المدرسة لا تكفيه، فردّ بأنّه لم يجد الكتاب الذي يريد فيها. سأله المدير عن اسم الكتاب، فأجابه مطر: البؤساء. فسأله مختبرا: ومن مؤلفه؟ فأجاب: فيكتور هوجو. ابتسم مدير المدرسة ومسح على رأسه، وأعطاه الخطاب الذي طلبه.⁷⁴ هكذا أتم قراءة دواوين عديد من الشعراء القدامى، ومنهم الحسن بن حبيب النيسابوري، والمتنبي، والمعري، وأبو تمام، وأبو فراس الحمداني، كما أنه قرأ دواوين شعراء من المحدثين مثل: أدونيس، والبياتي. وقد قرأ مؤلفات كثيرة للشعراء العالميين مثل: شيركو بيكه س الكردي، ورسول حمزاتوف الداغستاني، وبابلو نيرودا الأمريكي اللاتيني، ورايندرا طاغور الهندي وبوريس باسترناك الروسي وتذوق جماليات شعرهم النابضة بقضايا الإنسان والحرية.⁷⁵ هذه القراءة الواسعة ساهمت في تشكيل ثقافته الأولى لتندمج مع عدة مكونات ثقافية مثل البيئة الطبيعية

⁷⁴ فائق منيف. لقاء مع المطر 3. مشرق. 23 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_23.html

⁷⁵ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 49.

الغنية الجميلة وفقر سكانها البؤساء والواقع السياسي المرير الذي تتخبط فيه القوى الجاهلية.⁷⁶

تحول محور شعر أحمد مطر من الحب والمدح إلى موضوعات سياسية عندما تكشفت له خفايا الصراع بين السلطة والشعب، مما شاهد بأعينه، ومما قرأ في الجرائد والمجلات من جور الحكام وضيق الوطن الواسع بوجود المراقبين والمخبرين. يصرح الشاعر عن هذا التحول أنه ألقى بنفسه مبكراً في دائرة النار، عندما تكشف له خفايا الصراع بين السلطة والشعب، ولم تطاوعه نفسه على الصمت أولاً، وعلى ارتداء ثياب العرس في المأتم ثانياً، فجذب عنان جواده ناحية ميدان الغضب.⁷⁷ فبدأ يكتب الأشعار ضد جور الحكام واستبدادهم وقسوة قلوبهم وشدة تعذيبهم وبعثهم العيون والمخبرين على الشعب. وكان قصده محصوراً على إصلاح أحوال وطنه وإنقاذه من الفوضى والفقر والحرمان. فدخل المعتزك السياسي من خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء تلك القصائد، فاشتهر أمره بين الناس وذاع صيته في البلاد. ولم يلبث أن يصير قذى في أعين السلطات فاصطادوه بالمساءلة والتحقيق وأنواع من المطاردة والتعذيب حتى لجأ بالفرار إلى الكويت.

إلى الكويت

حين ضاقت حياته في العراق، هرب أحمد مطر من وطنه الحبيب إلى الدولة المجاورة الكويت في أواخر السبعينات، وكان حينئذ في مطلع شبابه. ما كانت حياته في الكويت مريحة في بادئ الأمر. لقد عاش بأرضها حياة اللاجئين. لم يحصل على أوراق رسمية تثبت هويته بسبب

⁷⁶ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998 م. ص 44.

⁷⁷ عبد الرحيم حسن. لقاء مع أحمد مطر. العالم عدد 185، لندن 29 أغسطس 1987 م. ص 52.

تمسكه على مواقفه المبدئية ورفضه التنازل عنها. فقد عاش هناك عدة سنوات لا يستطيع الحصول على رخصة القيادة، فراح يسير على قدميه في بلد يمكن لأفقر كادح فيه أن يمتلك سيارة، وقد عاش في بيت متواضع يكلفه إيجاره نصف مرتبه في بلد القصور والعمارات الفارهة.⁷⁸ يتذكر الشاعر عن تلك الأيام ويوضح موقفه، أثناء حوار مع علي المسعودي، حين سأله عن رأيه عن الكويت فرد قائلاً: "ما قولك مثلاً في رجل عراقي هرب إلى الكويت من بطش صدام، في زمن القادسية السوداء، ففوجيء بمباحثها تعتقله وتعذبه بتهمة الخيانة؟ هل تعاتبه إذا لم يكن مع الكويت؟"⁷⁹

اتصل أحمد مطر بجريدة القبس التي تصدر من الكويت وبدأ يشتغل بها منذ يوم 24 أبريل 1978 م.⁸⁰ ثم تقلب في المناصب حتى صار محرراً أدبياً وثقافياً بها. وجد في رحابها جوا مطمئناً وملائماً لمواقفه حيث وجد مجالاً واسعاً للتعبير عن آرائه وقيمه بكل جرأة. يذكر أحمد مطر عن تلك الأيام أثناء حوار ويقول مفتخراً إنها جريدته، ويوضح أن الذي بينه وبينها أكبر كثيراً من مجرد الإرتباط العاطفي أو الحسابات الأخرى بل يؤكد أن صلته بالقبس هي صلة رحم، وعلاقته بها مسألة يفرضها الولاء لأنها هي التي احتوته بحضنها عندما فتح عينيه، وهي التي حملته على صدرها بشجاعة مريم، فيما كان الرهط كله يهتف من حولها حانقاً "لقد جئت شيئاً فرياً."⁸¹ خلال حياته في الكويت بدأ يكتب لافتاته التي أبداعها وأضافها إلى الأدب العربي وينشرها في صفحات القبس. كانت هذه اللافتات تحمل آلامه وأحزانه في مصير وطنه

⁷⁸ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998 م 51.

⁷⁹ علي المسعودي. تكلموا فقالوا. الكويت: شركة المختلف للطباعة والنشر، 2001 م. ص 156.

⁸⁰ حمزة عليان. لافتات أحمد مطر.. باقية. القبس. 23 مارس 2016 م. 15 مارس 2022 م. «لافتات» أحمد مطر.. باقية

(alqabas.com)

⁸¹ علي المسعودي، المصدر السابق، ص: 156

الحبيب، وآماله وآراءه في إصلاح الشعب العربي، وسخطه واحتجائه وسخريته من الحكام المستبدين، بكلمات نارية تؤثر القلوب.

في رحاب القبس التقى بالفنان الفلسطيني ناجي العلي. ولم يلبث أن تتوثق علاقتهما لموافقة سجيتهما. يصرح الصحفي فائق منيف في تقريره عن مقابله مع الشاعر أنه كان كمن وجد توأمه عند لقائه بناجي العلي في الكويت حيث توافقت روحاهما اللتان تتشاركان أوصاف الشجاعة والشهامة والطيبة والتمرد على الطغيان ومحاربة فساد السلطات فتآلفتا. جعلتا صحيفة القبس في تلك الفترة شعلة من النشاط، وجحيما إعلاميا لكل فساد سياسي حتى تزايدت الضغوط على الدولة فهاجرا أو هجرا معا إلى لندن.⁸² كانت جريدة القبس في تلك الأيام تفتتح صفحته الأولى بقصيدة أحمد مطر وتختتم صفحتها الأخيرة بلوحة ناجي العلي. والشاعر يذكر عن ذلك الصديق الغالي "كل ما أستطيع قوله الآن إن ناجي العلي هو أوعى وأنقى وأشجع رجل عرفته في حياتي."⁸³ لم يستطع للشاعر أن يقيم في الكويت مدة طويلة، متمسكا على مواقفه. لقد أغضبت لهجته الصادقة وكلماته الحادة السلطات وأصدرت الحكومة قرارها بنفي الصديقين معا من الكويت. فاتخذا من لندن مأوى ومنفى.

في لندن

ارتحل الشاعر أحمد مطر إلى لندن واتخذها مأوى له منذ سنة 1986م. لم يقطع عن اتصاله بالقبس بل واصل عمله في مكاتبه الدولية، إلا أن علاقته مع الصحيفة ساءت يوما فيوما، ولاسيما بعد أن ضغطت عليه الإدارة بالتحريض في بعض قصائده وتخفيف شدة

⁸² فائق منيف. لقاء مع المطر 4. مشراق. 25 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_25.html

⁸³ علي المسعودي. تكلموا فقالوا. الكويت: شركة المختلف للطباعة والنشر، 2001م. ص 160.

لهجته. لم يقبل الشاعر أن يتنزل من مبادئه فغادرها بقلبه الثائر الذي لا يقبل أي نوع من الضغوط والقيود. يخاطب الشاعر صحيفة القبس في قصيدة 'حيثيات الاستقالة' قائلاً:

"أيتها الصحيفة

الصدق عندي ثورة

وكذبتني

إذا كذبت مرة.. ليست سوى قذيفة!

فلتأكلي ما شئت، لكني أنا

مهما استبد الجوع بي

أرفض أكل الجيفة

أيتها الصحيفة

تمسحي بذلة

وانطرحي برهبة

وانطبعي بخيفة

أما أنا

فهندي رجلي بأمر هذه الوظيفة"⁸⁴

بعد ابتعاده من القبس، اتصل الشاعر بجريدة الراية القطرية وراح يكتب بها.

⁸⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 118.

بعد سنة من وصوله إلى لندن، أغتيل صديقه ناجي العلي بأيدي عملاء موساد. أثرت هذه الحادثة في نفس الشاعر تأثيراً كبيراً فرثاه بقصيدته الطويلة 'ما أصعب الكلام' وهاج على الحكام المستبدين وخدمهم من الرؤساء والأدباء والصحفيين وغيرهم، مطلعها:

"شكرا على التأبين والإطراء
يا معشر الخطباء والشعراء
شكرا على ماضع من أوقاتكم
في غمرة التدبيج والإنشاء"⁸⁵

كان لمقتل رفيقه الحميم ناجي العلي أثر بالغ في حياة الشاعر، فمنذ تلك الحادثة أخذ يميل إلى العزلة شيئاً فشيئاً، فحبس نفسه في بيته حيث لا يظهر أمام الناس. ولم يظهر رقم هاتفه إلا لنوادير من أقرب أصدقائه وأقربائه فلم يستطع باتصاله إلا لزمرة قليلة من أحبائه وأعضاء أسرته. فقد يأس كثير من محبي شعره في ملاقاته في منفاه. يحكي الكاتب حمدي الدرهم عن يأسه من مقابلته بعد أن التمسه أيما في ضواحي لندن ولكن لم يعثر عليه. فقد كتب عن رحلته للبحث عن الشاعر في إحدى المواقع في الإنترنت.⁸⁶

ذكر الصحفي فائق منيف عن محاولته ونجاحه في لقاء الشاعر في تقرير نشره في مدونته، وأوضح أنه بحث عنه وعن كل وسيلة توصله إلى الشاعر، حتى تطوّع صديق مشترك له والشاعر بإعطائه رقم الشاعر، ونصحه بعدم التعب في محاولة لقائه، لأنه كان يعتزل عن الجميع حتى أقرب أصدقائه، ولن يقابل - بعد هذا كله - غريباً لا يعرفه.⁸⁷

⁸⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 6.

⁸⁶ حمدي الدرهم. الرحلة الأخيرة للبحث عن أحمد مطر. الجزيرة. 20 سبتمبر 2014م. 25 يونيو 2022م.

<https://www.al-jazirah.com/culture/2014/20092014/aoraq8.htm>

⁸⁷ فائق منيف. لقاء مع المطر 1. مشراق. 21 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

https://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_21.html

فقد ابتعد الشاعر من وسائل الإعلام أيضا لأنها على حد تعبيره وسائل إعدام، فلم يقترب حتى من وسائط التواصل الاجتماعي، لقد صرح في حين زيف بعض الناس حسابا باسمه في الوسائط الاجتماعية وأكد أنه لا يمتلك أي حساب في أي من منصاتهما. فقد نفى في اتصال هاتفي له مع جريدة القبس بتاريخ 3 أكتوبر 2014م أن يكون لديه حساب على تويتر حتى يغرد من خلاله، وصرح أنه ما زال متخلفا ورجعيا في نظر الشباب، لأنه لا يحسن التعامل مع أجهزة الكمبيوتر، ولا يفقه شيئا من الإنترنت، جاء هذا التعليق بعد قيام أحد الأشخاص بتشويه قصائده وانتحال اسمه.⁸⁸

في غضون تلك الفترة أصيب الشاعر بمرض السرطان، فقد اصطاده المرض مرارا حيث مر عليه أصعب حياته. وشاعت شائعات عديدة حول وفاته. وكان آخر تلك الشائعات وأوسعها انتشارا تلك التي فشلت في عام 2014م. ولكن تقدمت عائلته بنفي تلك الأخبار المزيفة. يوضح الأستاذ فائق منيف عن سبب عزلة الشاعر، في مدونته عقب تلك الشائعات ويصرح أن أحمد مطر مثل أبي العلاء المعري، إذا كان أبو العلاء رهين المحبسين البيت والعمى، فإن أحمد مطر رهين المحبسين البيت أيضا والمرض. ولكن أحمد مطر ذكر له سببا آخر دفعه للاعتزال، إنه 'الخبيبات' التي واجهها الشاعر من أصدقائه من تبدل مواقفهم، والخبيبات التي واجهها من العالم العربي من تحوله من سيء إلى أسوأ. يرى ويعتبر أن الأخيرة هي السبب الرئيسي في عزلته.⁸⁹ لم يزل الشاعر يعيش في إحدى ضواحي لندن مع أسرته، مكافحا الأمراض التي تزوره أحيانا والحنين إلى وطنه الحبيب العراق.

⁸⁸ حمزة عليان. لافتات أحمد مطر باقية. القبس. 23 مارس 2016م. 25 أغسطس 2021م. «لافتات» أحمد مطر..

باقية (alqabas.com)

⁸⁹ فائق منيف. لقاء مع المطر 2. مشرق. 22 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_22.html

الفصل الثاني

أحمد مطر: بواعثه الشعرية

لقد تأثر الشاعر بتاريخ وطنه العراق الحافل بالأحداث الضخمة التي غيرت مجرى الحياة الإنسانية. فوطنه العراق من أهم الأقطار العربية التي تمتاز بتاريخه وحضارته القديمة. هو بلاد النهرين العظيمين دجلة والفرات. يخترق هذان النهران العراق من الشمال إلى الجنوب في مجرى منفردين ثم يتحدان ويكوّنان نهراً كبيراً صالحاً للملاحة هو شط العرب. ويشكل العراق النصف الشرقي من الهلال الخصيب. لقد نشأت في حرجها الحضارات والمدنات القديمة ترجع جذورها إلى الألف الثالث قبل الميلاد. تعاقبت في أرضها امبراطورات عديدة لموقعه الجغرافي المتوسط بين الشرق والغرب ولوفرة الأراضي الخصبة ولوجود معادن مهمة وغزارة المياه. نزحت القبائل الأكادية إلى العراق حوالي الألف الرابع ثم الثالث قبل الميلاد، وعاشت في منطقة الفرات الأوسط، ثم استولت على القبائل السومرية. ظهرت في بابل امبراطورية، من أباطرتها حمورابي الذي كان أول من دون القانون والشرائع عام 1800 ق. م. قامت امراطورية ثالثة إلى الشمال من بابل هي امراطورية الأشوريين، ثم أسقطهم الكلدانية. وفي عام 539 ق. م. تمكن الفرس من التغلب على الكلدانية، وظلوا يحكمون العراق مدة ألف سنة إلى أن هزمهم العرب عام 636م. ظلت العراق تحت الحكم العربي إلى أن أسقطها هولاءكو، فظلت في حكم التتر حتى استولى عليه العثمانيون عام 1516م واستمر في أيديهم إلى عام 1917م فوقع في قبضة الإنكليز إثر الحرب العالمية الأولى. ظلوا يسيطرون عليه

بطرق شتى من حكم مباشر وغير مباشر إلى أن تحرر في ثورة 14 تموز سنة 1958م. أُعلن العراق جمهورية عربية منذ ذلك الحين، وصار العميد الركن عبد الكريم قاسم رئيس الجمهورية حتى أطاحت حكومته وصار عبد السلام عارف رئيس الدولة إثر انقلاب عسكري، إلا أن المنية وافته في حادث الطائرة سنة 1966م وتولى من بعده أخوه عبد الرحمان عارف. وفي 17 تموز 1968م قام أعضاء قيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بانقلاب ضد عبد الرحمان عارف، فانتخب أحمد حسن البكر أمين السر القطري لحزب البعث رئيساً للجمهورية العراقية.⁹⁰

منذ ذلك اليوم بدأ الحكم البعثي في العراق، إلا أنه عنف على المعارضة بالقمع الشديد. فقد هاجر كثير من المثقفين من العراق من أجل عنف الحكومة. ففي 1980م اندلعت الحرب العراقية الإيرانية نتيجة اختلافات تافهة واستمرت ثمان سنين. ثم في عهد الرئيس صدام حسين تأججت الحرب مرة أخرى، حيث قام باجتياح الكويت سنة 1990م. ومن جراء ذلك شنت أمريكا غارات على العراق. كانت عاقبة الحروب شديدة على الاقتصاد العراقي. بلغت تأثيراتها إلى احتياجات الغذاء والدواء وقطع الغيار وغيرها من الاحتياجات الحيوية للناس.⁹¹ وفي 20 مارس 2003م بدأت قادة التحالف الحرب على العراق، فدخلوا بغداد، واعتقلوا صدام حسين في ديسمبر في نفس السنة.⁹² ثم تم محاكمته وإعدامه متهما على ارتكابه جرائم ضد الإنسانية عام 2006م.

⁹⁰ زاهية قدورة. تاريخ العرب الحديث. بيروت: دار النهضة العربية، 1967م. ص 127-152.

⁹¹ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 56-57.

⁹² محمد عبد الغني. الوطن العربي. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2009م. ص 290.

تأثر الشاعر على حد كبير بجمال طبيعة مسقط رأسه 'التنومة' إحدى نواحي شط العرب في البصرة. كانت قرية جميلة بجداولها وأنهارها وبساتينها وأشجار النخيل التي أحاطتها. وكان أهلها يعيش حياة البساطة والطيبة على الرغم من الفقر الذي يعانيه منه. فقد أسهب الشاعر وصفها في حوار له مع مراسل جريدة العالم قائلاً: "قرية تنضح بساطة، ورقة، وطيبة، وفقرا، مطرزة بالأنهار والجداول وبيوت الطين والقصب، والبساتين،... كل ذلك بعبارة موجزة قصيدة فطرية عظيمة."⁹³

صارت الظروف السياسية القاسية التي عاشها الشاعر أكبر باعث في إبداعيته وتكوين شخصيته. وكان للاستعمار الغربي واستبداد الحكام وجورهم على الشعب أثر عظيم على أحوال وطنه الاقتصادية والاجتماعية. فقد تأثر كلها في مخيلته وقريحته. قضى الشاعر صباه في الفقر والحرمان. وقد عرف دور الحكام والولاة في تدهور حالة اقتصادية وطنه، وشاهد مقاساة شعبه من الحكام الجائرين. فجعل الشاعر يكتب الأشعار منتقدا حكام بلاده نقدا لاذعا. ففي فترة مبكرة من حياته اضطر أن يفر من بلاده إثر مطاردة الحكومة. فيرى في قصائده قد مزج بين تجربته الذاتية وتجربة شعبه وأمتة المتجددة في كل لحظة..."⁹⁴

⁹³ عبد الرحيم حسن. لقاء مع أحمد مطر. العالم عدد 185، لندن 29 أغسطس 1987م. ص 52.

⁹⁴ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 66.

الفصل الثالث

أحمد مطر: إبداعاته الشعرية

لافتات أحمد مطر

بدأ أحمد مطر حياته الشعري في سنه الرابعة عشرة، كانت موضوعاته في تلك المرحلة متعلقة بالحب والغزل. ثم تطورت أشعاره لتلبية لمتطلبات العصر، حيث وجد شعبه المكثود بجور الحكام المستبدين والمستعمرين. حين عرف مبعثه الأساسي بدأ يثور ضد الواقع السياسي المرير السائد في بلاده. يوضح الشاعر عن وصوله إلى إبداع نوع شعري جديد الذي سماه فيما بعد 'اللافتات' الذي اكتشفه على أساس تجاربه في محاورته مع الصحفي عبد الرحيم حسن فيقول إنه قد ابتداءً بالقصائد العمودية التي تعالج قضايا الشعب المختلفة التي يعانيها من الحكومة. وكان يقدمها أثناء مشاركاته في الاحتفالات العامة من على المنصة، الأمر الذي يقتضي الإطالة وشحن القصيدة بقوة عالية من التحريض. وتلك الإطالة، كانت تتطلب، بالطبع، الانتقال من موضوع إلى آخر، من خلال محور عام واسع هو موقف المواطن مما يعيشه إزاء سلطة لا تتركه ليعيش مطمئناً. إذ ليس من المعقول أن يكتب الشاعر موضوعاً واحداً ارتجالاً وعفويًا خلال أكثر من مائة بيت. وهذه الحالة كانت بالنسبة له عبئاً ثقيلاً، على رغم ما تثيره تلك الإطالة من انفعال الناس وحماسهم وتصفيقهم. فعزم على ألا يتعدى موضوعاً واحداً في قصيدة واحدة، وإن جاءت القصيدة كلها في بيت واحد، وذلك لكي يخدمه جيداً من ناحية الصياغة، ولكي يشحنه بكل ما لديه من طاقة فنية،

تجعله سريع الوصول، سريع التأثير، دائم الحضور في الأذهان. ثم رافقه هذا المسعى حين تحول إلى قصيدة التفعيلة. لم يفرط في كنوز القصيدة العمودية حين عانق الشعر التفعيلي، بل حملها معه، كل من القافية واتساق النفس الشعري، وسلامة الميزان، كما لم يتحلل من انتقاء اللفظة السهلة الدالة، والإبتعاد ما أمكن له عن الألفاظ الصعبة الغريبة والتعبير الغامض. ويعتقد أن هذه المواصفات التي تحملها قصيدته، هي بصورة ما، نفس مواصفات 'اللافتة' التي يحملها المتظاهرون، من حيث الإيجاز والسهولة والموقف المحدد والحاد، والهدف التحريضي. لكنها عنده تتخذ رداءها الفني.⁹⁵

راجت لافتات أحمد مطر رواجاً كبيراً ووجدت مكانها الخاص في قلوب القارئ وكان حينئذ يعمل في جريدة القبس. كانت اللافتات تحمل نقداً لاذعاً للأحداث السياسية التي شهدها العالم العربي آنذاك. فما ترك أحمد مطر أي حادثة تمس الكيان العربي محلية كانت أم دولية ذات أثر في نفسه إلا وكتب فيه شعراً ينقدها بألفاظ نارية. في قصيدته 'البيان الأول' يوضح الشاعر عن وصوله إلى هذا الأسلوب النقدي في معالجة القضايا السياسية والاجتماعية، فيقول إنه عرف أنه لا جدوى للمداراة والملاينة في هذا العهد الراهن، فاعتمد على ألفاظ خشن حاد كالسكين وشديد الوقع كالرصاصة. يقول:

"قلبي وسط دواة الحبر غاص

ثم غاص / ثم غاص

قلبي في لجة الحبر اختنق

وطفت جثته هامدة فوق الورق.

⁹⁵ عبد الرحيم حسن. لقاء مع أحمد مطر. العالم عدد 185، لندن 29 أغسطس 1987م. ص 52.

روحه في زبد الأحرف ضاعت في المدى

ودمي في دمه ضاع سدى

ومضى العمر ولم يأت الخلاص.

آه يا عصر القصاص

بلطة الجزار لا يذبحها قطر الندى

لا مناص

آن لي أن أترك الحبر

وأن أكتب شعري بالرصاص"⁹⁶

نشرت جريدة القبس لافتاته لأول مرة يوم 9 مارس 1985م بعنوان 'في صغري' ثم تابعت

نشرها حتى انقطعت سنة 2010م.⁹⁷ وآخر لافتة تم نشرها في القبس هي لافتة 'فرعون ذي

الأوتاد' التي نُشرت عام 2014م، يقول فيها:

"ما دقت الأوتاد فينا صدفه

بل دقها فرعون ذو الأوتاد

وله سوابقه بتصدير الأذى

ليصده.. ويعود بالإيراد

⁹⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 52.

⁹⁷ حمزة عليان. لافتات أحمد مطر باقية. القبس. 23 مارس 2016م. 25 أغسطس 2021م. «لافتات» أحمد مطر..

باقية (alqabas.com)

وله عبيد، سادة قد سودوا

أيامنا.. من قبل هذا السادي"⁹⁸

أما آخر لافتة كتبها الشاعر فهي كما يدعي الصحفي فائق منيف عبر حسابه في فيسبوك بعنوان 'لم يصل' بتاريخ 10 ديسمبر 2015م. يتكلم فيها عن الإنسانية وعن بعد الإنسان منها، يقول:

"(كن فيكون)..."

ولما كان

بدأ الرحلة نحو الهدف الأسمى

ولأن الرحالة أعمى

لم يبلغه لحد الآن.

أطول رحلات الإنسان

رحلته نحو (الإنسان)"⁹⁹

جمع أحمد مطر شعره في دواوين وطبعها في لندن على نفقته. فأخرج سبع دواوين شعرية بعنوان 'لافتات' ودواوين بعنوانين مختلفة مثل 'إني المشنوق أعلاه، وديوان الساعة. وللشاعر قصائد متفرقة منشورة التي لم يجمعها عنوان محدد مثل: ما أصعب الكلام، العشاء الأخير لصاحب الجلالة إبليس الأول، وبالإضافة إلى قصائد أخرى نشرها على صفحات جريدة

⁹⁸ أحمد مطر. فرعون ذو الأوتاد. القبس. 11 أغسطس 2021م. 20 ديسمبر 2021م. لافتة.. «فرعون ذو الأوتاد»

(alqabas.com)

⁹⁹ فائق منيف. 10 ديسمبر 2015م. 15 أبريل 2021م. فائق - لمحي الشاعر الكبير أحمد مطر والمهتمين بشعره، أرفق

أحدث لافتة له، ورابطا لبليوجرافيا الدراسات والمقالات النقدية عن شعره:

<http://fmuneef.blogspot.co.uk/2015/12/blog-post.html> | Facebook

الرأية القطرية. وقد جمع كثير من المعاصرين له شعره بعنوان المختارات الشعرية وبمعنوان أخرى مثل: 'أحمد مطر سيرة شاعر انتحاري' لأوس داوود يعقوب، و'أحمد مطر شاعر المنفى واللحظة الحارقة' لهاني الخير.

تسببت كثرة انتشار اللافتات وشدة تأثيرها، في محاولة بعض الناس أن ينسبوا شعرهم إلى الشاعر زورا لغايات يعرفونها. ناقش الشاعر عن تلك القصائد التي تخالف مبادئه وأساليبه وأعرب عن كراهيته وقلقه أثناء حوار مع الصحفي فائق منيف وأخبره: "أنه توقف عن النشر منذ 2010م حتى تاريخ كتابة هذه المدونة (27 أغسطس 2014م)، فأني قصيدة منشورة خلال تلك الفترة ليست له."¹⁰⁰ هذا الانتحال لم تقف في حدود النصوص فقط بل جاوزت إلى شخصيته. يحكي فائق منيف عن ظهور شخص ادعى أنه أحمد مطر في محافظة الرقة بسوريا وألقى قصائده هناك في حفل عام.¹⁰¹

اجتنب أحمد مطر من معظم الأغراض الشعرية التي يكثر بها الشعراء قديما وحديثا مثل المديح والغزل وغيرها. فقد هجا الشعراء الذين يذهبون وراء كل شيء في العالم إلا سياسة الجائرين المستبدين. فقد أوضح عن ذلك في قصيدته 'التكفير والثورة' منتقدا من الذين يسابقون إلى وصف النسوة والطبيعة بغض النظر من جور الحكام المستبدين ومقاساة الشعب منهم. وأعلن كفره وإنكاره بذلك النوع الشعري الذي لا يبالي الشعب وما يعانیه من الفقر والقهر والجور، يقول:

¹⁰⁰ فائق منيف. لقاء مع المطر 5. مشراق. 27 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_27.html

¹⁰¹ فائق منيف. لقاء مع المطر 5. مشراق. 27 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_27.html

"لعنت كل شاعر

ينام فوق الجمل الندية الوثيرة

وشعبه ينام في المقابر

لعنت كل شاعر

يستلمهم الدمعة خمرا

والأسى صبابة

والموت قشعريرة

لعنت كل شاعر

يغازل الشفاه والأثداء والضيفائر

في زمن الكلاب والمخافر

ولا يرى فوهة بندقية

حين يرى الشفاه مستجيبة

ولا يرى رمانه ناسفة

حين يرى الأثداء مستديرة

ولا يرى مشنقة

حين يرى الضفيرة"¹⁰²

أوضح أحمد مطر رأيه في قول بعض النقاد "أعذب الشعر أكذبه" فصرح أنه يوافق تلك الجملة إن تقصد بها الجانب الفني الجمالي دون جوانبها الأخلاقي أو الوطني أو المبدئي وقاطع

¹⁰² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 54.

قائلاً: "إذا غدت عباءة فضفاضة يتلفع بها كل مدلس ومنافق ومتملق ومرتزق، فينبغي أن نصرخ ملء أفواهنا: إن أعذب الشعر أصدقه."¹⁰³ لقد أبدى الشاعر عن كراهيته واختلافه من شعراء السلطة، يقول فائق منيف إنه انتقد بعض الشعراء لقرههم من السلطة وبين مبدأه قائلاً: "الشاعر لا يكون سلطوياً حتى لو كان أبوه سلطاناً، الشاعر يجب أن يكون إنساناً."¹⁰⁴ يرى أن الشاعر لا بد أن يشعر أنه سلطة فوق كل سلطة حتى لا يحني ظهره أمام أحد ولا يحرك يراعه إلا لصالح الأمة لا غير. بعد ذلك كله، يطلب من شعراء السلطة إذا لم يدركوا أنهم سلطة فوق كل سلطة ولم يعيشوا وفق هذا الإدراك، أن يتجهوا للاشتغال بأي مجال إلا الشعر. لأن الشاعر ضمير الأمة والبوصلة الدقيقة الحساسة التي تشير إلى حقيقة الاتجاهات، مهما اختلفت الفصول وتغيرت الأنواء ولا قانون يحكمه أصلاً، إلا ما يحكم مؤشّر البوصلة من قوانين.¹⁰⁵

فقد أورد الشاعر تبريره لذلك الموقف في إهمال بعض الأغراض وتركيزه في السياسة ومعالجتها بالهجاء والسخرية، فبين أن البيئة السياسية التي عايشها جعلت مخيلته صلبة حتى لا تنبع منها إلا الأشعار السياسية. يقول في قصيدته 'أعرف الحب ولكن':

"أعرف الحب... ولكن

لم أكن أملك في الأمر اختياراً

كان طوفان الأسمى يهدر في صدري

¹⁰³ عبد الرحيم حسن. لقاء مع أحمد مطر. العالم عدد 185، لندن 29 أغسطس 1987 م. ص 53.

¹⁰⁴ فائق منيف. لقاء مع المطر 5. مشرق. 27 أغسطس 2014 م. 10 ديسمبر 2019 م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_27.html

¹⁰⁵ عبد الرحيم حسن، المصدر السابق، ص: 53

وكان الحب ناراً/ فتواري!

كان شمسا.. / واختمى لما طوى الليل النهارا

كان عصفورا يغني فوق أهدي

فلما أقبل الصياد طارا!...

أعرف الحب أنا/ لكن حبي

مات مشنوقا على حبل شراييني/ بزنانة قلبي!

لا تظني أنه مات انتحارا...¹⁰⁶

أصداء شعر أحمد مطر

لقد ثبتت في مخيلة أحمد مطر تجاربه من حكام بلده والولاة، وما عاينه من مصائب شعبه تحت حكم المستبدين الجائرين منذ صغره. فأخذ يكتب الأشعار في انتقاد الحكام ويهجوهم على استبدادهم على الوطن ومنعهم حقوق الشعب في المعاش والحرية وتبذيرهم موارد الوطن.

لا ينتهي الشاعر إلى أي من أحزاب سياسية أو ثقافية أو غيرها. بل ينحصر انتماءه إلى الشعب فقط. فما كتب شيئاً لحزب ولا لقبيلة ولا لسلطة معينة بل كان دائماً مع الشعب يكتب له آلامه وأحلامه حتى وجد الشعب في لافتاته حياة جديدة، فاستقبل أشعاره ملء القلب. كتب أحمد مطر ما يجيش في قلبه صادقاً متمتعاً بالحرية الكاملة ولم يخف فيه

¹⁰⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 170.

لومة لائم، كما وصف نفسه في قصيدته 'الاختيار' أنه كالموجة التي تعلو حرة وتبذل أروع حياتها لتروي رمال الضفة، يقول:

"إنني لست لحزب أو جماعة

إنني لست لتيار شعارا

أو لدكان بضاعة.

إنني الموجة تعلو حرة ما بين بين

وتقضي نحبا دوما

لكي تروي رمال الضفتين.

وأنا الغيمة للأرض جميعا

وأنا النعمة للناس جميعا

وأنا الريح المشاعة"¹⁰⁷

كانت اللافتات من أهم مزايا صحيفة القبس منذ نشرها إياها، وجذبت القراء وتأثرت فيهم تأثيرا بليغا. كانت اللافتات تنصدر في الصفحة الأولى من القبس، وأصبحت بمثابة افتتاحية يومية للصحيفة. وصار الناس يتربون موعد صدورها، ويناقشون عن اللافتة اليومية بشغف، حتى صار السؤال المتداول على شفاهم: هل قرأت اللافتة اليوم. ثم حين جمعها في ديوان بعنوان اللافتات قبلوها أيضا قبولا حسنا حتى فطن الحكام عن هذا القبول الواسع فبادروا بمنعها خوفا من يقظة الشعب. فصارت أشعاره ممنوعة في عشرين دولة عربية، ولم يكن مسموحا إلا في الكويت ومصر، بل كانت توزع سرا في مختلف المدن العربية حتى في مدن

¹⁰⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 124.

السعودية. أيام ثورات الربيع العربي، فقد ألف الشاعر عدة أشعار لكن لم ينشرها في صحف لمعرفة عن خوف الصحف من نشرها لما تحتوي من نقد لأذع للحكام، إلا قصيدته بعنوان 'فرعون ذي الأوتاد' فنشرها في جريدة القبس.¹⁰⁸

لقد اعتقل كثير من المواطنين - من بينهم العامة والخاصة على حد سواء- على قراءة لافتات، ولاحقاً عليهم على نسخته. يكتب الصحفي محمد عبد الشافي القوصي قصته مع صديقه الصحفي الكبير 'بسام الحداد' المحرر الثقافي بجريدة الدايلي ميل (Daily Mail) حين وجده حزينا مما يحدث بأرض الشام من الفظائع قال له: هون عليك، أما سمعت الشاعر أحمد مطر يقول: نحن الوطن.. إذا لم يكن لنا وطن. فصاح: أعوذ بالله من أحمد مطر، وبين أنه هو سبب نكبته وتعاسته حيث عثر الجند من منزله بحمص على ديوان لافتات فاعتقله فلبث في السجن خمس سنوات. يتذكر الكاتب أن أحد الأئمة منع من الخطابة في 'الإمارات' لأنه مرة استشهد ببعض أبيات أحمد مطر، وفي جامعة الرياض أحد الأكاديميين فصل عن العمل لنفس السبب.¹⁰⁹ ورد في موقع أنباء تونس خبر عن قضاء المحكمة العسكرية بتونس باعتقال الصحفي عامر عياد مدة أربعة أشهر والنائب بالبرلمان عبد اللطيف العلوي مدة ثلاثة أشهر.¹¹⁰

¹⁰⁸ حسن العدم. لافتات أحمد مطر صرخ في فضاء العجز العربي. الجزيرة. 11 أغسطس 2020م. 10 يناير 2022م.

- 404 الصفحة غير موجودة (aljazeera.net)

¹⁰⁹ محمد عبد الشافي القوصي. أعوذ بالله من 'أحمد مطر'. رأي اليوم. 24 يوليو 2021م. 20 يناير 2022م. محمّد عبد

الشافي القوصي: أعوذ بالله من "أحمد مطر" | رأي اليوم (raialyoum.com)

¹¹⁰ أنباء تونس. 8 أبريل 2022م. 10 يوليو 2022م. قضية "قصيدة أحمد مطر": المحكمة العسكرية تقضي بسجن

عامر عياد وعبد اللطيف العلوي - أنباء تونس (kapitalis.com) /

رغم المنع والتعذيب على قراءة اللافتات من جهة وعدم ظهور الشاعر حتى في الوسائل الإعلام كلها لم يقلل من شغف الشعب العربي في أشعار أحمد مطر. كانت أشعار أحمد مطر تحريضا للمتظاهرين والمحتجين أيام الربيع العربي حيث رفعوا يافطات كتبت عليها أسطره لتحسيس الثائرين. وقد اكتظت الوسائل الاجتماعية بمجموعات باسم الشاعر أو اللافتات، تناقش عن مبادئ الديمقراطية والحرية والعدالة والإنسانية.

الباب الثالث: القضايا السياسية في شعر أحمد مطر

الاستبداد :	الفصل الأول
الحرية :	الفصل الثاني
الفوضى :	الفصل الثالث
الاستعمار :	الفصل الرابع
القضية الفلسطينية :	الفصل الخامس

الفصل الأول

الاستبداد

الاستبداد لغة: غرور المرء برأيه والأنفة عن قبول النصيحة. أما في الأوساط السياسية فهو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة، وبلا خوف تبعه. تستخدم كلمات عديدة في مقام صفة 'مستبد' مثل: جبار، وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق. وفي مقابلة 'حكومة مستبدة' تستعمل كلمات مثل: عادلة، ومسؤولة، ومقيدة، ودستورية. أما تعريفه بالوصف: فهو أن الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلا أو حكما، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين.¹¹¹

الاستبداد من أهم الموضوعات التي عالجها الشاعر أحمد مطر في أشعاره المعروفة بلافتات، فقد نقد الشاعر الاستبداد السائد في معظم الدول العربية نقدا لاذعا. إنه أحق أن يكتب عنه حيث عاين وجوهه البشعة منذ نعومة أظفاره. وقد وصار فريسة له، حتى طرد من مسقط رأسه في مطلع شبابه، ثم نفي من وطن استجار به. لقد أسهب الشاعر حديثه عن ضرر الاستبداد، مبينا علاماته وأوصافه، ومصورا لهجاته وأساليبه، ومعبرا عن قلقه من الحكام المستبدين بأساليب السخرية والتهكم، ومناديا الشعب للثورة حتى يروا البلد حرا مستقلا حيث يتحرر الفرد المواطن من نير الاستبداد والاستعباد من جميع أنواعه. توجد

¹¹¹ عبد الرحمن الكواكبي. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. تحقيق: محمد عمارة. ط2. القاهرة: دار الشروق،

أشعار كثيرة في دواوينه بهذا الصدد، يهاجم بها على الأنظمة السياسية القائمة على الظلم والقهر والاستبداد.

يعبر الشاعر عن قلقه في مصير وطنه الحبيب تحت حكم المستبدين في قصيدة 'الأرمد والكحال'. فيشبهه الوطن بامرئ مصاب بالرمد فيعود كحالا لا يحسن الكحل للمعالجة. ولكن لا جدوى بالعلاج بل معالجته تؤدي إلى العمى حتى يصير بعد المعالجة أعمى. فالوطن على حد تعبيره يختنق تحت حكم المستبدين الطغاة، بإصلاحاتهم السياسية المعكوسة، واستغلال الموارد الاقتصادية بدون بصيرة، واحتفاظهم الكرسية بقمع الشعب. يقول الشاعر:

"وطني يا أيها الأرمد

ترعاك السما

أصبح الوالي هو الكحال

فأبشر بالعمى."¹¹²

يأتي الشاعر بأبيات وأشعار عديدة ليصف بها أخلاق الحكام المستبدين. ومن أهم مظاهر كل حاكم طاغ حسب رأي الشاعر أنه لا يحب التشاور ولا المناقشة مع الرعية. لعل السبب الرئيسي لذلك خوفه من انتباه الشعب من سباته فيطالب حقوقه، وينقد مواقف الحكام الخاطئة. بل يظاهر المستبدون أمام الجمع دائما أنهم يحبون التشاور معهم ويحرضونهم لعرض الشكاوى وفي الحقيقة أنهم يكرهونه.

¹¹² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 32.

يصور الشاعر هذا الموقف بأسلوب قصصي رائع في قصيدة 'المفقودات'. فيقص عن زيارة رئيس البلد إحدى القرى ليعرف أحوال الرعية مصائبهم ومشقاتهم وليعرض أهل القرى شكواهم أمامه. فيظهر الحاكم أمامهم في زي ناصح ويحرضهم ويقنعهم أنه لا مجال للخوف. بل إذا تقدم أحد وعرض عن مشكلته ومعاناته وشكواه أمام الرئيس، فيشكره ويواسيه أمام الجمع ويعدده أن من واجباته أن يحل مشكلته. ولكنه يكن الكراهية والغیظ في صدره لمن يعرض الشكوى والمظالم، بل يبادر إلى إعدامه سرا. يقول الشاعر:

"زار الرئيس المؤمن/ بعض ولايات الوطن

وحين زار حيننا/ قال لنا

هاتوا شكواكم بصدق في العلن

ولا تخافوا أحدا... فقد مضى ذاك الزمن

فقال صاحبي 'حسن' / يا سيدي

أين الرغيف واللبن/ وأين تأمين السكن

وأين توفير المهن

وأين من/ يوفر الدواء للفقير دونما ثمن

يا سيدي لم نر من ذلك شيئا أبدا.

قال الرئيس في حزن

أحرق ربي جسدي/ أكل هذا حاصل في بلدي

شكرا على صدقك في تنبيهنا يا ولدي/ سوف ترى الخير غدا

وبعد عام زارنا/ ومرة ثانية قال لنا

هاتوا شكواكم بصدق في العلن

ولا تخافوا أحدا... فقد مضى ذاك الزمن

لم يشتك الناس!

فقمتم معلنا/ أين الرغيف واللبن

وأين تأمين السكن/ وأين توفير المهن

وأين من/ يوفر الدواء للفقير دونما ثمن

معذرة يا سيدي/ أين صاحبي 'حسن'¹¹³

الحكام دائما يحاولون لإسكات الشعب بالقمع والتحذير والترهيب. لأنهم يخافون منه
يقظته ويسجنون كل من يخالف رأيهم وموقفهم. يشرح الشاعر في قصيدة 'تفاهم' أسلوب
الحكام المستبدين في مواجهة شعبيهم حين يجترئ بالمناقشة معهم في أمر ما. يقول الشاعر
عنهم ساخرا منهم:

"علاقتي بحاكمي

ليس لها نظير

تبدأ ثم تنتهي براحة الضمير

متفقان دائما

لكننا.. لو وقع الخلاف فيما بيننا

نحسمه في جدل قصير

أنا أقول كلمة

¹¹³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 104.

وهو يقول كلمة

وإنه بعد أن يقولها.. يسير

وإنني من بعد أن أقولها... أسير"¹¹⁴

يزعم الشاعر أن الحاكم المستبد لا يرغب في الشورى، ولا يقبل في أي أمر رأي العارفين والمتجربين. فينفذ أوامره بدون نقاش ولا تخطيط. فتعود كلها أو معظمها بفشل تام. يأتي الشاعر في قصيدة 'إصلاح زراعي' بمثال لحاكم مستبد و يحكي أنه أراد أن يصلح في مجال الزراعة، فبدأ أعماله بدون بصيرة ولا نقاش. فأتى بأمور لا علاقة لها بالزراعة كتعيين الفلاح شرطي المرور، وتعيين ابنة الفلاح ببيعة فول، وابنه نادلا في المقهى وغيرها من الإصلاحات. ولكن إصلاحاته تسببت لخسار فادح للمزارع وللوطن كما توقع بها العارفون من الناس. يقول الشاعر:

"قرر الحاكم إصلاح الزراعة.

عين الفلاح شرطي مرور

وابنة الفلاح ببيعة فول

وابنه نادل مقهى

في نقابات الصناعة

وأخيرا

عين المحراث في القسم الفولكلوري

والثور... مدير للإذاعة.

¹¹⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 145.

قفزة نوعية في الاقتصاد

أصبحت بلدتنا الأولى

بتصدير الجراد

وبإنتاج المجاعة " ¹¹⁵

يحب المستبدون شهرة أنفسهم فيعلقون صورهم في كل جهات الوطن وفي كل ناحية من نواحيه التي يجتمع فيها الناس. وهم يحرضون الناس أن يحملوا صورهم ويهتفون لهم في المظاهرات بإعطائهم الجوائز والعطايا من أموال الوطن. يسخر الشاعر منهم في قصيدة 'تمرد' ويدعي أن الجدران تأبى حمل صور الحكام المستبدين، حين يحمل السفهاء صورهم في الطرقات ويهتفون لهم من أجل المال، يقول الشاعر بلسان جدار أبي:

"لا نرضى بأن نحمل عارا

وإذا، يوما، حملناه اضطرارا

فعلى أيدي البشر

ألف شكر لك يا رب على أنا

حديد وحجر" ¹¹⁶

الحاكم المستبد لا يحب إلا من يمدحه من الموظفين والأدباء والكتاب وعامة الناس. يبغض أشد البغض على من يشير إلى أخطائه أو يجترئ لانتقاده. في قصيدته 'مصادرة' يذكر

¹¹⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 328.

¹¹⁶ نفس المرجع، ص: 211

الشاعر عن وصية والدته حين رأت أن السلطات تطارده من أجل انتقاده الأنظمة في أشعاره، فأوصته أن يمدح الحاكم لينجو من هذه المضرات كلها. يقول الشاعر:

"تقول لي والدتي...

يا ولدي

إن شئت أن تنجو من النحس

وأن تكون شاعرا محترم الحس

سبح لرب 'العرش'

واقرا آية 'الكرسي'¹¹⁷

يرى الشاعر أن الحكام المستبدين يبذرون أموال الوطن. ويستغلون موارد الوطن بدون ضبط ولا حصر. فيبذرونها حسب مشيئتهم في مصلحتهم ومصلحة عيالهم دون أي نظر إلى المستوى الاقتصادي للبلد. وفي قصيدته 'حالات' يشبه الشاعر الحكام باللص ويسخر منهم. فيدعي أن اللص في البلدان الأجنبية يصبح مديرا للنوادي، وفي أمريكا يصبح زعيما للعصابات، ثم يقول عن أحواله في الأوطان العربية قائلا:

"وبأوطاني التي

من شرعها قطع الأيادي

يصبح اللص

رئيسا للبلاد"¹¹⁸

¹¹⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 62.

¹¹⁸ نفس المرجع، ص: 55

يدعي الشاعر أن المستبدين من الحكام يقومون أمام الدول الكبرى خائفين وخاضعين ولو أظهروا الشجاعة والبطش على رعيّتهم. يكشف الشاعر عن هذه الحقيقة ويسخر منهم في قصيدته 'حكاية عباس'. ويوضح الشاعر فيه ضعف حكام العرب ويحكي قصة بطلها عباس مستمد من التاريخ ويمثل جميع حكام العرب. خلع عليه الشاعر أوصاف الخوف والجبن والذلة. يقف عباس وراء المتراس وهو يقظ. ويمسك سيفه دائما في يده ويصقله. ولكنه حين دخل اللص بيته لم يقاومه ولم يهاجم عليه بل استقبله وقدم له القهوة. هاجم اللص أهل عباس وسرق ماله وقالت امرأته: أنقذني يا عباس. بل لم يرد عباس عليه، غير أنه واصل جهده في صقل سيفه. في نهاية الشعر يسخر منه زوجته فتسأل: فلمن تصقل سيفك يا عباس؟¹¹⁹ وفي قصيدته 'عباس يستخدم تكتيكا جديدا' يسخر الشاعر منهم ويحكي قصة مدهشة عن عباس. يقف عباس في بيته حساسا منتبها وفي يده السلاح. دخل اللص بيته وخط دائرة حول عباس وحذره "إياك أن تجتاز هذي الدائرة". أذى اللص أهل عباس وسرق ماله ولكن عباس لم يدافع عنه ولم يقاتل اللص. ثم بعد ذهاب اللص سئل عباس عن عدم مدافعته، فكانت إجابته غريبة جدا، يقول:

"انتظر.."

لقد غافلته..

واجتزت خط الدائرة"¹²⁰

¹¹⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 18.

¹²⁰ نفس المرجع، ص: 110

الحكام المستبدون يمارسون النفاق، في استخدام الآيات الكريمة والأحاديث النبوية حسب رغباتهم، فيأخذون بغضها ويتركون أكثرها. يوضح الشاعر عن نفاق المستبدين في قصيدة 'اكتشافات' حيث يزعم أنهم يستدلون بالكتاب والسنة تبريرا لقمعهم الشعب، وليجعله طائعا ومطمئنا في حكمهم، ويدعون أنهم ينفذون الشريعة الإسلامية في إقامة الحدود للجنايات، أما في سبيل حماية الوطن من الأعداء فيندسون الشريعة وأحكام الجهاد. فيسخر الشاعر منهم فيقول:

"الأعادي

يتسلون بتطويع السكاكين

وتطبيع الميادين

وتقطيع بلادي.

وسلاطين بلادي

يتسلون بتضييع الملايين

وتجويع المساكين

وتقطيع الأيادي"¹²¹

يسخر الشاعر منهم في قصيدته 'ورشة إبليس'، ويدعي أن حكام العرب أعجبوا إبليس وتفوقوا منه في النفاق، حتى ترك إبليس مجاله لهم وغادر. يقول الشاعر عن ورشة عقدها إبليس لتدريب أتباعه، في نهاية التدريب أعرب إبليس عن عجبه في مقدرات أتباعه فأعلن عن إداره من عمله إفشاء الفتنة والفساد في الأرض لأنهم أظهروا تفوقهم منه، قائلا:

¹²¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 40.

"وقال: إني راحل

ما عاد لي دور هنا

دوري أنا

أنتم ستلعبونه"¹²²

إن جميع المستبدين- ولو أظهروا الشجاعة- يخافون يقظة الشعب من سباتهم. لأن الشعب إذا استيقظ وتفكر عرفوا حقيقة حكامهم فيثور عليهم حتى ينزلهم من عروشهم. يقول الشاعر إنهم جبناء يرتعدون خيفة مثل اللصوص:

"اثنان في أوطاننا

يرتعدان خيفة

من يقظة النائم

للص... والحاكم"¹²³

لقد صور الشاعر في عديد من أشعاره عن معاناة شعبه من الحكام المستبدين، وزعم أن الوطن تحت حكم المستبدين صار كالجهنم الذي يصعب فيها الحياة. وفي قصيدته 'أين المفر' يبين الشاعر عن مأساة المواطنين. فيدعي أن حكام بلاده جعلوا الوطن الجميل كالمعتقل الواسع. فتجسست الأنظمة شعبها في جميع حالاته، في مسكنه ومعمله وفي يقظته وسباته، وجعلت المواطنين دائماً في المراقبة واعتقلتهم إذا شعرت أي ريبة منهم، وعذبتهم

¹²² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 32.

¹²³ نفس المرجع، ص: 102

بعذاب لا يرى أحد مثله في أي بلد على وجه الأرض. عذب الحاكم من يشاء من المواطنين وأعدمه بوسائل مختلفة إذا شعر منه عملا يثير الشك. هكذا قتل كثير من الناس في وطنه وهم لا يدرون لم يقتلون. يقول الشاعر:

"أوطاننا قيامة
لا تحتوي غير سقر
والمرء فيها مذنب
وذنبه لا يغتفر
إذا أحس أو شعر
يشنقه الوالي.. قضاء وقدر
إذا نظر
تدهسه سيارة القصر.. قضاء وقدر
إذا شكا/ يوضع في شرابه سم
.. قضاء وقدر
لا درب.. كلا لا وزر
ليس من الموت مفر
يا ربنا
لا تلم الميت في أوطاننا إذا انتحر

فكل شيء مؤمم

حتى القضاء والقدر"¹²⁴

المواطن لا يلقى أي كرامة من الحكام المستبدين. فإن عناءه وجوعه وفقره ومرضه وآلامه لا يهتم الحاكم أبدا ولا يزعجه ولو للحظة واحدة لأنه مشغول عن كلها ومنهمك في توفير زخارف الحياة له ولأهله ولأقربائه. في قصيدته 'التقرير' يسخر الشاعر من الحاكم ويحكي أن كلب الحاكم طارد الشاعر وعضه ثم مات بسبب ما. فبادر رجال الأمن باعتقال الشاعر وادعوا أن الكلب تسمم منه حين عضه حسب تقرير الوفاة، وكتبوا عليه بالإعدام. يقول الشاعر:

"كلب والينا المعظم

عضني يوما، ومات

فدعاني حارس الأمن لأعدم

بعدهما أثبتت تقرير الوفاة

أن كلب السيد الوالي

تسمم!"¹²⁵

يدعي الشاعر أن الحكام المسبدين جعلوا بلاده فقيرة على رغم وجود الموارد الاقتصادية الضخمة من النفط والمعادن وغيرها في أرضه، بل بذروا بجمعها تبذيرا. في قصيدته 'المخطوفة' يسخر الشاعر منهم ويحكي أنه سمع من الإذاعة أن الأعداء خطفوا القطار، فحمد الله على أن شعبه نجا من الخطف، ولما سمع عن خطف طائرة وسفينة حمد ربه

¹²⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 43.¹²⁵ نفس المرجع، ص: 53

لنجاة شعبه من تلك الحوادث كلها. ولما سمع أن إحدى الحركات المتطرفة خطفت نعلا وجعل صاحبه رهينة فحمد مرة أخرى وشكر الحكام والولاة لأنهم سلموا شعبه من الخطف كله حيث إنهم سلبوا أموال الناس وأتلفوها حتى لم يستطع للشعب أن يركب قطارا ولا طائرة ولا سفينة حتى لم يمتلك نعلة لرجله. يقول الشاعر:

"يا رب لك الحمد

وشكرا ثم شكرا للولاة

أنقذونا مرة أخرى

فلولاهم لما كنا

مدى العمر.. حفاة"¹²⁶

يدعي الشاعر أن الحكام المستبدين يحملون على الشعب أعباء ثقيلة حيث يفرضون عليه ضرائب ضخمة مختلفة لتدعموا بها الحالة الاقتصادية المتدنية بتبذيرهم وسوء تديبرهم موارد البلاد. ويزعم أنهم يسرقون أموال الناس وهم يعانون غاية من الفقر والمسكنة. في شعر 'مسائل غير قابلة للنقاش' يشير الشاعر إلى تلك الحقيقة المرة. يحكي فيه أن حكام بلاده يسهرون الليل ويفكرون كيف يسلبون من عامة الناس حصيرهم البالي الذي ينامون فيه في ليالي الشتاء. يقول الشاعر ساخرا منهم:

الفقير

يجعل الحكام لا يغفون

من وخز الضمير

¹²⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 75.

حينما ينهي إليهم

في ليالي الزمهرير

أنه فوق الحصار الرث يغفو..

كيف يغفون

وهم

لم يسرقوا منه الحصار"¹²⁷

ليس للشاعر أمل في أن حكام بلده يحسنون للشعب ويدعون استبدادهم ويتركون شعبيهم أن يعيش متحررة من القيود. في قصيدته 'ربما' يعبر الشاعر عن كآبته في تغير أخلاق حكام بلده إلى خلق حسن. فيصرح أنه لا أمل له في أنهم ينصرفون من إيذائهم الشعب، فيتوبون من ماضيهم الظالم والمجرم، ويسارعون إلى العدل والإحسان. يقول الشاعر:

"ربما الزاني يتوب

ربما الماء يروب

ربما يحمل زيت في الثقوب

ربما شمس الضحى

تشرق من صوب الغروب

ربما يبرأ إبليس من الذنب

فيغفو عنه غفار الذنوب!

إنما لا يبرأ الحكام

¹²⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 279.

في كل بلاد العرب

من ذنب الشعوب" ¹²⁸

يسخر الشاعر من نظام إمارة الدولة الذي يجعل الحكم في أبناء الملك وعائلته على طريق الوراثة. يحرض الشاعر شعبه للثورة على هذا النظام في قصيدة 'هذه الأرض لنا'، فيذكر أنه ليس للحكام استحقاق في الحكم سوى أنهم ولدوا أبناء ملوك لا غير. يدعي الشاعر أنهم يتلفون أموال الشعب بإنفاقها بدون بصيرة ولا مسؤولية، قائلاً:

"قوت عيالنا هنا

يهدره جلاله الحمار

في صالة القمار

وكل حقه به

أن بغير جده

قد مر قبل غيره

بهذه الآبار" ¹²⁹

يظن الشاعر أنه لا يتأدب الحكام إلا إذا ثار الشعب ضدهم. فينادي الشعب أحياناً لإسقاط الحكام الطغاة من كرسي الحكم. في قصيدته 'فصل الخطاب' يخاطب الشاعر الشعب الذي يهتف ويسب الحكام قائلاً 'السلطين كلاب' ويفهمه أنه لا جدوى في تردد هذه

¹²⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 61.

¹²⁹ نفس المرجع، ص: 54

الكلمات ويوضح أنه لا يهين السلاطين بهذه الكلمات والأوصاف بل يهين الكلاب. ويبيدي غرابته فيه قائلاً: 'إن البغايا ليس يخجلن إذا سميتموهن قحاب'. ثم يستأنف قائلاً:

"السلاطين دمي من ورق

فوق عروش من ورق

تحتها النفط اندلق

بدلاً أن تلعنوهم

... أشعلوا عود ثقاب"¹³⁰

¹³⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 121.

الفصل الثاني

الحرية

تعرف كلمة الحرية (Freedom) بشكل عام "أنها القدرة على التصرف أو التغيير دون قيد أو شرط."¹³¹ في الخطاب السياسي تستخدم هذه الكلمة بمعنى "إعطاء المرء لنفسه قوانينه الخاصة مع التمتع بالحقوق، والحريات المدنية، التي يمارسها دون تدخل غير مبرر من الدولة."¹³² أعلن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في خطابه المعروف بخطاب الحريات عن أنواع الحرية الأربعة هي: حرية الرأي والتعبير، وحرية العبادة، والتحرر من الحاجة، والتحرر من الخوف.¹³³

لقد لعبت دول الاستعمار دورا حاسما في تعثر الحرية في الدول العربية حيث مارست أساليب القمع والتنكيل في عهد سيطرتها. تعود تقاليد منع الحرية في الأوطان العربية إلى عهد الاستعمار حين أحست سلطات الاحتلال خيفة من المقاومات الشعبية وسعت لتقييدها بغرس نظم وقوانين وممارسات لكبت الحرية. فأقامت سلطات الاحتلال الفرنسي والبريطاني محاكم استثنائية لمحاكمة المقاومين وفرضت الأحكام العرفية في البلاد حين

¹³¹ حرية الشعوب. ويكيبيديا. 29 يونيو 2021م. 28 أغسطس 2022م. حرية الشعوب - ويكيبيديا (wikipedia.org)

¹³² حرية الشعوب. ويكيبيديا. 29 يونيو 2021م. 28 أغسطس 2022م. حرية الشعوب - ويكيبيديا (wikipedia.org)

¹³³ الحريات الأربع. ويكيبيديا. 24 يونيو 2022م. 28 أغسطس 2022م. الحريات الأربع - ويكيبيديا (wikipedia.org)

احتاجت إليها. بقيت بعض هذه القوانين والممارسات التي تقيد حرية الشعب حتى بعد زوال الاحتلال.¹³⁴

ثبت في مخيلة الشاعر صورة وطنه المكبل منذ زمن بعيد. فالمحتلون الأجانب سرقوا أموال الشعب العربي ونهبوا أعراضهم ودماءهم في أيام نفوذهم. فبعد الاستقلال صار الوطن تحت المستبدين الطاغين. ثم بعد ذلك جاء دور الحكام الذين لبسوا ملاءة الديمقراطية وجعلوا الانتخابات في صالحهم بتدخل خارجي. أما بعد الانقلاب السياسي بعد مهاجمات أمريكا، فوقع الوطن العربي في الفوضى، حيث ظهر عصابات عديدة تزعج حياة الشعب. كل حكومات تنافست في رفع حرية الشعب، وقمعهم بكل شدة وشراسة. وبالجملة لم ينج وطنه من قبضة الاستبداد وقسوته في أي عصر من العصور. فقد شاهد الشاعر عما يعانيه شعبه من القهر وعدم الحرية منذ صباه. فحرك لسانه وقلمه حتى صار لسان شعبه معبرا عن حرصه الشديد للحرية، وسخطه على الطغاة الذين يستبدون عليهم، وسخريته منهم بأشعار شديدة التأثير.

يعبر الشاعر عن قلقه الشديد في حالة شعبه بعد فقدان الحرية في قصيدة 'دمعة على جثمان الحرية'. فالشاعر يقول إنه لا يريد إزعاج الحكومة بقرض الأشعار، لأنه يعرف جيدا عن ضرورة السكوت لأن يعيش سالما في وطنه. بل هؤلاء الحكام بكثرة جورهم وقهرهم على الشعب يجعله يكتب، يقول الشاعر:

"أنا لا أكتب الأشعار"

¹³⁴ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004م نحو الحرية في الوطن العربي. عمان: المطبعة الوطنية، 2005م. ص 62.

فالأشعار تكتبني

أريد الصمت كي أحيا

ولكن الذي ألقاه ينطقني"

ثم يستطرد مخاطبا حكام بلده ويطرح أسئلة نارية، حيث يبرر بها موقفه من كتابة الشعر في نقدهم. ويوضح أن كل الذي تلقى بصره حزن وقلق فيسأل متمردا:

"ولا ألقى سوى حزن

على حزن/ على حزن

أأكتب "أنني حي"

على كفني؟

أأكتب "أنني حر"

وحتى الحرف يرسف بالعبودية؟"

في نهاية القصيدة ينعى الشاعر حرمان وطنه من الحرية ويرثي لأوضاعها ويسخر من هؤلاء الطغاة الذين يمنعون الشعب حريتهم في التصرف والتعبير. يحكي الشاعر أنه شارك في تشييع جنازة، ولم يجهر اسم الميت حيث يوضح أنها تعد في بلاد العرب إرهابا وتخريبا وطعنا في القوانين الإلهية، ويزعم أن الحكومة تنتقم ممن ينطقها. وفي السطر الأخير يكشف اسم الميت وذلك الحرية. يشاطر الشاعر عواطفه مع القارئ قائلا:

"لقد شيعت فاتنة

تسمى في بلاد العرب تخريبا/ وإرهابا

وطعنا في القوانين الإلهية

ولكن اسمها/ والله

لكن اسمها في الأصل

..حرية!"¹³⁵

في رأي الشاعر، أن الحرية قد ارتفعت من أوطانه بالقهر الشديد من قبل الحكام وليس له أمل في استرجاعها بسهولة. في قصيدته 'في انتظار غودو' يحكي الشاعر عن ممات الحرية في وطنه، ويعبر عن انقطاع أمله في رجوعها. يشبه الشاعر الحرية ببنت جميلة مربوطة في سجن حيث يقول إن صببية كانت بجواره في السجن، تعاني العذاب والقهر أكثر وأشد منه. وكانت أيضا مربوطة على مروحة سقفية داخل السجن مثله. قال الشاعر للصببية ليسلمها: لا تجزعي، لا بد أن تدركنا الحرية في زمن ما فننجو من هذه المكاره. فأبدت الصببية ياسها وأخبرته أنها هي الحرية.

"كانت معي صببية

مربوطة مثلي

على مروحة سقفية.

جراحها

تبيكي السكاكين لها..

ونوحها

ترثي له الوحشية!

حضنتها بأدمعي.

¹³⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 33.

قلت لها: لا تجزي.

مهما استطال قهرنا..

لا بد أن تدركنا الحرية.

تطلعت إلى،

هم حشرجت حشرجة المنية:

وأسفا يا سيدي

إني أنا الحرية!"¹³⁶

في قصيدته 'مؤهلات' يعبر الشاعر عن سخريته من النظام الحكمي الذي يحرم الشعب من الحرية. يزعم أن حيوانات بلاده تتمتع الحرية تامة في الوطن حيث تذهب وترجع بدون مضايقات، لا أحد يمنعها ولا يراقبها. وترفع الصوت وتخفضه حسب حاجتها، لا يردها أي مانع. بل الشعب يمنع منها كلها في كل حين، ويعيش في ظلال الخوف والجزع واليأس حتى شعر أنه يعيش بين الموت والحياة. يحكي الشاعر أن شعبه يطلب من الولاة أن يعتبروه من الحيوانات لطمعه للحرية. يقول الشاعر:

"تنطلق الكلاب في مختلف الجهات

بلا مضايقات

تلهث باختيارها/ تنبح باختيارها... واقفة

أمام "عبد اللات"

بلا مضايقات!

¹³⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 244.

وتعرب الحمير عن أفكارها/ بأنكر الأصوات

بلا مضايقات!

وتمرق الجمال من مراكز الحدود

في أسفارها

وتمرق البغال في آثارها

من غير إثباتات

بلا مضايقات.

ونحن نسل آدم

لسنا من الأحياء في أوطاننا

ولا من الأموات.

نهرب من ظلالنا

مخافة انتهاكنا/ حظر التجمعات!

نهرب للمرأة من وجوهنا

ونكسر المرأة/ خوف المداهمات!

نهرب من هروبنا

مخافة اعتقالنا/ بتهمة الحياة!

صحننا بصوت يأس:

يا أيها الولاة

نريد أن نكون حيوانات!

قالوا لنا: هيئات

لا تأملوا أن تعملوا

لدى المخابرات"¹³⁷

بعث الحكام الشرطة والمخبرين في جميع أنحاء الوطن لمراقبة المواطنين ولمنعهم من أي حركة ضد الحكومة. فقد لعب المخبرون دورا حاسما في رفع حرية الناس وجعل حياتهم كما في جهنم. فتتبعوا الناس في حركاتهم وسكناتهم ويقظتهم وسباتهم وتجسسوا واعتقلوا جميع من ظن أنهم ضد الحكومة. وبدؤوا يعذبونهم عذابا شديدا نكالا للآخرين. في قصيدة 'الجار والمجرور' يصور الشاعر المخبرين ومراقبتهم الشعب ومعاناة الشعب منهم. ويكشف عن ملامحهم ويبين مهارتهم في مراقبة الشعب وتتبعهم إياه وافترائهم الحجج وإيقاعهم الناس في ورطتهم بالكيد والخداع. يقول الشاعر:

"لي جار مخبر

في قلبه تجري دماء وشراك

نظرة منه... هلاك

همسة منه... هلاك

رحمة منه... هلاك!

هو إن حاولت أن

تهرب من عينيه زارك

فإذا ما لذت بالصمت استثارك.

¹³⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 79.

فإذا لم يستطع

كلف صغارك!

هو حتى عندما يغمض عينيه يراك.

وهو يدري أين أمضيت نهارك

وهو يدري أين أمضيت غدا

يدرك بالفطرة مقدار أمانيك

ومقدار أساك.... " 138

في شعر 'قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن' يقول الشاعر عن وجود المخبرين في كل زوايا الوطن، تكتظ بهم الطرق، يكمنون في مرصدهم لمراقبة الناس، ويقبضون على كل من شك فيه ويعتقله. يحكي الشاعر أنه يخاطب رجلا يخرج من وطنه هاربا من قسوة الحكام وتعذيبهم، فيوصيه بالحدز في حله وترحاله، لأن كل شيء حوله من الخلق يراقبه، فيقول:

"لا تهاجر.

كل من حولك غادر

كل ما حولك غادر

لا تدع نفسك تدري بنواياك الدفينة

وعلى نفسك من نفسك حاذر " 139

¹³⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 82.

¹³⁹ نفس المرجع، ص: 49

يزعم الشاعر أن المخبرين والمراقبين يزعجون الناس في حياتهم الطبيعية ويتدخلون حتى في أمورهم الخاصة. في قصيدته 'قبلة بوليسية' يسخر الشاعر من المخبرين لتدخلهم في أمورهم الخاصة، وتجسسهم به بجميع وسائل ولماقبتهم به من وراء عدسات مكبرة. يحكي أن الحكومة وضعت المخبر في القبلة ليقيس مدى رغبته بادعاء أن القبلة تعد في أوطانه حادثة تمس الأمن العام. يقول الشاعر معبرا عن قلقه من المخبرين المنتهكين حرية الشعب بأسلوب ساخر:

"حتى إذا قبلت- يوما- زوجتي

أشعر أن الدولة

قد وضعت لي مخبرا في القبلة

يقيس حجم رغبتي

يطبع بصمة لها عن شفتي

يرصد وعي الغفلة!

حتى إذا ما قلت يوما جملة

يعلن عن إدانتي/ ويطرح الأدلة!

لا تسخروا مني فحتى القبلة

تعد في أوطاننا

حادثة تمس أمن الدولة!"¹⁴⁰

¹⁴⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 21.

على الرغم من انتشار المخبرين في كل صوب من الوطن وحديه ومراقبتهم الناس وفحصهم إياهم في أجسامهم وحقائبهم وأمتعتهم يفترون الكذب على الناس إن لم يجدوا منهم شيئاً مريباً ويعتقلونهم على أساسها. في قصيدته 'مصادرة' يكشف الشاعر أن الشرطة والجنود راقبوه ومنعوه وضربوه وفحصوه ولكن لم يجدوا أي شعر أو منشورة أو كتب أو أي شيء يثير الجدل في انتقاد الحكام والأنظمة، حتى إذا يتسوا من اكتشاف ما يؤدي إلى اعتقاله افتروا عليه الكذب وحبسوه على أنه يحمل الأفكار في رأسه. يقول الشاعر ساخراً منهم:

"من بعد طول الضرب والحبس

والفحص، والتدقيق، والجس

والبحث في أمتعتي

والبحث في جسدي/ وفي نفسي

لم يعثر الجند على قصيدتي

فغادروا من شدة اليأس.

لكن كلبا ماكرا/ أخبرهم بأنني

أحمل أشعاري في ذاكرتي

أطلق الجند سراح جثتي

... وصادروا رأسي" ¹⁴¹

¹⁴¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 62.

لم يدع المخبرون والشرطة السرية أحدا ينتقد الدولة والحكام إلا باغتوا باعتقالهم أو بإعدامهم. فقبضوا على كل من يرفع صوته في انتقاد السلطة وإظهار عيها وظلمها وجورها. فاعتقلوا كثيرا من الأبرياء على شبهات غير مثبتة، وافتروا عليهم الدلائل ثم صبوا عليهم سوط عذاب. في قصيدته 'محبوس' يقول الشاعر ساخرا من هذا الوضع المرير ويحكي أن المخبرين حين رأوا التاريخ ينتقد قيادات النظام الفاسدة، بادروا باعتقاله وحبسه في زنزانة منفردة.¹⁴² فقد صور الشاعر هذه الحقيقة المؤسفة في قصيدته 'جناية' بأسلوب ساخر. يحكي الشاعر أن الشرطة حلوا بمنزل واعتقلوا التلفاز على جريمة انتقاد النظام. يقول

الشاعر:

".. وفجأة، يا سيدي، توقف الإرسال.

وامتلأت صالتنا بأغظ الرجال.

صاح بهم رئيسهم: ها هو ذا الدجال.

شدوه بالأغلال.

.. واعتقلوا تلفازنا!

قلت له: ماذا جنى؟!

حدق بي وقال:

تلفازكم يا ابن الزنى

على النظام بال!"¹⁴³

¹⁴² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 317.

¹⁴³ نفس المرجع، ص: 245

إن الذين نقدوا الحكام وشتموهم على سوء أفعالهم تلقوا عذابا شديدا. لأن المخبرين والجواسيس الذين يختبئون في كل مكان يراقبونهم ويعتقلونهم ويعذبونهم عذابا شديدا. في قصيدته 'الإرهابي' يشير الشاعر إلى شدة المراقبة والمعاقبة التي يعاني بها المواطن في وطنه. يحكي الشاعر قصة رجل عبر عما يجيش في قلبه من كراهيته ضد العصابة الذين يصطادون الشعب لإرضاء الحكام. دخل الرجل بيته سرا وأغلق أبواب بيته قبل أن يراه أحد. ثم أظهر حزنه وقلقه ولم يجهر بصوته. بل سرعان ما اعتقل ودام حبسه بناء عليه سنة كاملة. يقول:

"دخلت بيتي خلسة من أعين الكلاب

أغلقت خلفي الباب

نزلت للسرداب

أغلقت خلفي الباب

دخلت في الدولاب

أغلقت خلفي الباب

همست همسا خافتا: (فليسقط الأذنان)

وشت بي الأبواب!

دام اعتقالي سنة.. بتهمة الإرهاب" ¹⁴⁴

في قصيدته 'مساءلة' يؤكد الشاعر أن المخبرين والمراقبين قد منعوا حرية الشعب تامة حتى اعتقلوا الناس وعذبوهم على ما حدث في الأحلام. يحكي الشاعر أنه رأى حلما غريبا كأنه

¹⁴⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 239.

يخاطب حاكم بلده منتقدا معاملاته ومحاسبا أعماله. ويسأله بعض الأسئلة حتى بدأ الحاكم يرتجف أمامه. فجأة استيقظ من النوم حين سمع طرقات شديدة على بابه، فإذا يقف أمامه الجند وجاؤوا ليعتقلوه على هذا الحلم. يقول الشاعر:

"قلت للحاكم: هل أنت الذي أنجبنا؟"

قال: لا.. لست أنا.

قلت، هل صيرك الله إلها فوقنا؟

قال: حاشا ربنا.

قلت: هل نحن طلبنا منك أن تحكمنا؟

قال: كلا.

قلت: هل كانت لنا عشرة أوطان وفيها وطن مستعمل زاد على حاجتنا

فوهبنا لك هذا الوطن؟

قال: لم يحدث.. ولا أحسب هذا ممكنا

قلت: هل أقرضتنا شيئا/ على أن تخسف الأرض بنا/ إن لم نسدد ديننا؟

قال: كلا

قلت: ما دمت، إذن، لست إلها/ أو أبا/ أو مالكا/ أو دائنا

فلماذا لم تزل، يا ابن الكذا، تركبنا؟/

... وانتهى الحلم هنا.

أيقظتني طرقات فوق الباب:

افتح الباب لنا يا ابن الزنى.

افتح الباب لنا.

إن في بيتك حلما خائنا!"¹⁴⁵

منعت البلاد من حرية التعبير أيضا. اعتقل الناس وعذبوا على تهمة انتقاد السلطة. وحرم الحكام جميع قطع أدبية نثرا أو شعرا التي تنقد الحكومة والأنظمة والتي تعالج قضايا الشعب ومقاساته من الحكام. وقد هددت الحكومة الصحف والمجلات والمطابع من نشر ما تمس السياسة مقالات وقطعات أدبية. وبادرت الحكومة إلى مصادرة الصحف والمجلات ووسائل الإعلام التي تمنع الانقياد لرغبات الحكومة. ولقد واجه الشاعر أحمد مطر نفسه مشقات كثيرة بهذا الصدد. طارده الحكام من أجل قصائده الناقدة لاستبدادهم، وقد منعت أشعاره من النشر.

ومن المؤسف أن بعض مسؤولي صحيفة القبس طلب من الشاعر التحرير في قصائد قدمها للنشر مخافة على أنفسهم وصحيفتهم إلا أن الشاعر الأبى استقلال من الصحيفة. وذكر عن ذلك في قصيدته 'حيثيات الاستقالة'.¹⁴⁶ في قصيدته 'مبادئ الكتابة العربية' يقول الشاعر عن هذا الوضع السيء الذي يضطر فيه مسؤول الجرائد والصحف أن يجبر الأدباء والكتاب للابتعاد عن جميع ألفاظ تزعج الحكومة. يقول الشاعر ساخرا من موقف الحكام من الشعراء والكتاب الذين يعالجون قضايا الشعب في أدبهم. ويبين أن المسؤولين يأمرون الأدباء أن يتركوا الأساليب التي يكرهها الحكام قائلا:

¹⁴⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 209.

¹⁴⁶ نفس المرجع، ص: 118

"اكتب كما تشاء

بشرط أن لا تتعاطى ورقا،

أو قلما، أو محبرة

أو خبرا، أو فكرة،

أو همسة، أو خاطرة.

والكاتب الموهوب/ هو الذي يغسل منها يده..

ويعتني بجودة الأسلوب!"

ثم يبين الشاعر هذا الأسلوب الذي ترضاه الحكومة وتوصي الكتاب باقتداءه، قائلا:

حاور بلا محاورة

واصرخ بغير حنجرة

وارسم محيط الدائرة/ بالمسطرة!

إياك أن تنتقد الروث

فقد تؤذي شعور البقرة"¹⁴⁷...

في قصيدته 'مجاعة الشعبان' يقول الشاعر عن حالة مأساوية يعيشها الشعب من أجل حرمان حرية التعبير. عوقب الشعراء والأدباء من أجل مؤلفاتهم حتى ردعوا من كتابة أي شيء يتعلق بالوطن والسياسة. يصور الشاعر شدة مراقبة الحكومة على الشعراء وتعذيبهم إياهم وشدة خوف الأدباء منها. ويوضح أن الأقلام تمتنع من كتابة الألفاظ المثيرة للجدل وتكتب مالا يقصده الشاعر:

¹⁴⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 156.

"أكتب: (لا)..."

يجعلها: (لا تكذبي)!

أكتب: (زور الأجنبي)

تصبح: (زارنا النبي)"¹⁴⁸

في قصيدة 'صاحبة الجهالة' يتكلم الشاعر عن محرر مجلة الذي صار منزعجا حين رأى شعرا أتى به الشاعر لينشره. فأشار المحرر إلى ضرورة التحرير فيها من أجل خوفه من إحراج الحكام. في الشعر يصور الشاعر أحوال محرر المجلة وخوفه على نفسه في الوطن المفقود حريته. يصور الشاعر هذه الحالة المأساوية بكلمات ساخرة:

"مرة، فكرت في نشر مقال

عن مآسي الاحتلال

عن دفاع الحجر الأعزل

عن مدفع أرباب النضال!

وعن الطفل الذي يحرق في الثورة

كي يغرق في الثروة، أشباه الرجال!

قلب المسؤول أوراقي، وقال:

اجتنب أي عبارات تثير الانفعال

مثلا: خفف (مآسي) لم لا تكتب (مآسي)؟ أو (مواسي) أو (أماسي)؟

¹⁴⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 200.

شكلها الحاضر إحراج لأصحاب الكراسي!

احذف (الأعزل)..

فالأعزل تحريض على عزل السلاطين

وتعريض بخط الانعزال"¹⁴⁹

يصور الشاعر في قصيدته 'حبسة حرة' الخوف الذي عم في الوطن من جراء العقوبات التي صبها الحكومة على من ينتقد الحكومة. يحكي الشاعر أنه عاد الطبيب في مرض أصابه وشكا عن اختفاء صوته. فأخبره الطبيب أن هذا الحبس في صوته خير له وأوصاه أن يدعو ربه لبقاء هذا الحبس طوال حياته لأن هذا الحبس ينجيه من الهلاك، يقول:

"اختفى صوتي

فراجعت طبيبي في الخفاء.

قال لي: ما فيك داء.

حبسة في الصوت لا أكثر..

أدعوك لأن تدعو عليها بالبقاء!

قدر حكمته أنجتك من حكم (القضاء)

حبسة الصوت

ستعفيك من الحبس

وتعفيك من الموت

¹⁴⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 329.

وتعفيك من الإرهاق

ما بين هروب واختباء"¹⁵⁰

يدعي الحكام والولادة فخرا أنهم يحترمون الشعب ويراعون حقوقهم وحوائجهم رغم أنهم يمنعون الناس حريتهم في جميع أوجه الحياة. يسخر الشاعر منهم ويرد عليهم لادعائهم الباطل في قصيدته 'صدمة'. ويأتي بنموذج لحرية الرأي الذي ينعم بها شعبه في بلده حاكيا أنه أوماً بيده حين التقى بجاره في الطريق بدلاً من أن يجهر صوته بالسلام خوفاً من الحكومة. بل الجار رد السلام قائلاً 'وعليكم السلام'. يبدي الشاعر دهشته من عدم تسجيل أي تهمة ضده رغم قراءته السلام جهراً. يقول الشاعر:

"شعرت هذا اليوم بالصدمة.

فعندما رأيت جاري قادما

رفعت كفي نحوه

مسلماً

مكتفياً بالصمت والبسمة

لأنني أعلم أن الصمت

في أوطاننا.. حكمة.

لكنه رد علي قائلاً:

عليكم السلام والرحمة.

ورغم هذا

¹⁵⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 204.

لم تسجل ضده تهمة!

الحمد لله على النعمة

من قال ماتت عندنا

حرية الكلمة"¹⁵¹

يدعي الشاعر أن الحكومة تمنع الشعب حتى من التفكير عن الحرية. في قصيدته 'حلم' يسخر الشاعر منهم ويحكي تجربة مواطن من الحكومة حين رأى في المنام أنه يتمتع بالحرية التامة في وطنه ويعيش كما يعيش البشر يأكل طعامه الذي يرضى ويمشي في الأسواق ولم يتبعه أحد يراقبه. فذهب إلى مفسر الأحلام ليعرف تفسير حلمه الغريب. خاف مفسر الأحلام من هذا الحلم العجيب وأوصاه أن ينام حين ينام وألا يرى مثل هذه الأحلام. ولكن لم يلبث أن قتل بأيدي عملاء السلطة. يقول الشاعر:

"وقفت ما بين يدي

مفسر الأحلام.

قلت له: يا سيدي

رأيت في المنام

أني أعيش كالبشر

وأن من حولي بشر

وأن صوتي بفي

وفي يدي الطعام

¹⁵¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 41.

وأني أمشي

ولا يتبع من خلفي أثر

فصاح بي مرتعدا:

يا ولدي حرام

لقد هزئت بالقدر

يا ولدي... نم عندما تنام!

وقبل أن أتركه

تسللت من أذني

إصابع النظام

واهتز رأسي... وانفجر"¹⁵²

¹⁵² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 35.

الفصل الثالث

الفوضى

لا غرابة أن تكون الأوطان تحت حكم المستبدين الجائرين قلقة وغير مستقرة حيث تتعرض لانقلابات سياسية عديدة. الطامعون من الجند ومن رؤساء القوم يتربصون فرصة للانقلاب والثورة على الحكم. والشعب القلق يساند سرا كل ثورة برغبته في التخلص من المستبدين وجورهم والقيود التي حمل عليه. وكان يحلم لحظة النجاة منهم منذ أمد بعيد. أما الحكام فهم يعنفون على الشعب تعديبا وتخويفا ليردعوه من الثورة ولإخماد شراراتها. فيصبون على الشعب أنواعا من العذاب من أجل احتفاظ عروشهم وسلطانهم دون أي اهتمام بعواقبها. ولكن الثورات لا تأتي بشيء جديد دون أن يولي على البلاد حاكم جديد. فلا تنتهي معاناة الشعب ولا ثوراتهم أبدا حتى وقع معظم البلدان في الفوضى إلى الأبد.

يصور الشاعر عن الثورات والانقلابات التي تتتابع في وطنه في قصيدته 'صندوق العجائب'. يتذكر الشاعر في أبياته أنه كان عنده صندوق اللعب وكان يلعب به ألعابا مختلفة أيام طفولته. مرة فتح صندوقه وأخرج منه لعبة كرسيا موشى بالذهب وكانت عليه دمية من خشب وفي يدها سيف قصب وبدأ يلعب بها. يخفض رأس الدمية أحيانا ثم يرفعه حين يشاء. وحينما آخر خلع الدمية من الكرسي، ثم نصب حين يشاء. كذلك لعب بالكرسي أيضا، فينصب الكرسي مرة ويقبله تارة. هكذا كان يلعب بها بالحماسة والنشاط إذ مر به أبوه فخاف عليه واضطرب لرؤية هذا المشهد. أخذ اللعبة وخبأها في الصندوق وشد على أذن

الطفل وأنذره ألا يلعب بها مثل هذا. بل الطفل الصغير ما فهم سبب خوف الوالد واضطرابه وسخطه في ذلك اللعب الذي كان يلعبه بل أطاع الوالد وعاش عمره كله مدهشا عن عمل أبيه. ولكن لما بلغ أشده وعرف الواقع السياسي الذي يمر به وطنه عرف سر غضب والده. يقول الشاعر:

"في صغري

فتحت صندوق اللعب

أخرجت كرسيًا موشى بالذهب

قامت عليه دمية من الخشب

في يدها سيف قصب

خفضت رأس دميتي

رفعت رأس دميتي

خلعتها/ نصبتها

خلعتها.. نصبتها

حتى شعرت بالتعب

فما اشتكت من اختلاف رغبتني

ولا أحست بالغضب

ومثلها الكرسي تحت راحتي

مزوق بالمجد... وهو مستلب

فإن نصبته انتصب

وإن قلبته انقلب

أمتعني المشهد

لكن أبي

حين رأى المشهد خاف واضطرب

وخبأ اللعبة في صندوقها

وشد أذني.. وانسحب

وعشت عمري غارقاً في دهشتي

وعندما كبرت أدركت السبب

أدركت أن لعبتي

قد جسدت

كل سلاطين العرب"¹⁵³

في ظلال الفوضى عمت الفتنة والفساد والهلاك في الأنفس والأموال في بلاده. الناس يقتلون كل يوم في كل صوب من الوطن إثر الغارات والانقلابات والانفجارات. يدعي الشاعر أن ثلاث قوات تتنافس في قتل المواطنين في وطنه. وهي على حد تعبيره: دول الاستعمار ودولة إسرائيل والحكام المستبدون من العرب. في قصيدته 'استغاثة' يعبر الشاعر عن قلق المواطن من إفشاء القتل والاعتقال حيث يستغيث المواطن العربي بالملك الموكل بالموت من حكام بلده المستبدين. يقول الشاعر:

"الناس ثلاثة أموات

¹⁵³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 53.

في أوطاني

والميت معناه قتيل.

قسم يقتله "أصحاب الفيل"

والثاني تقتله "إسرائيل"

والثالث تقتله "عربائيل"

وهي بلاد

تمتد من الكعبة حتى النيل

والله اشتقنا للموت بلا تنكيل

والله اشتقنا... واشتقنا... ثم اشتقنا

أنقذنا يا عزرائيل!"¹⁵⁴

يذكر الشاعر في قصيدة 'بوابة المغادرين' عن كثرة الحوادث والكوارث ووفيات المواطنين في الوطن إثر الفوضى المحتل به. يحكي أن الملك الذي يفحص أوراق من يتجاوز حدود السماء ويختتمها دهش حين فهم أن الأرواح التي تزور السماء معظمها تجيء من أوطان عربية. جاءت الأولى إثر انفجار طائرة، والثانية بانفجار السفينة، ورجل بإصابة رصاصية، وفتى كان يتمشى في حديقة وحاول لقطف وردة، فأنفجرت الوردة. ثم يأتي كثير، وكل يأتي بأسباب متنوع من الانقلاب، والعنف، والحرب، والثورة، والعبوة، والطلقة، والطعنة، والثأر وغيرها كثير. حتى دهش الملاك واهتز مذهولاً وألقى الدفتر قائلاً:

"أنا أجلس بالمقلوب"

¹⁵⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 106.

أم أني فقدت الذاكرة

أسأل الله الرضا والمغفرة

إن تكن تلك الدنيا

... فأين الآخرة؟! ¹⁵⁵

فالناس حسب رأيه يعيشون في الوطن حياة لا ضمان لها، يعيشون في ظل الموت. في شعر 'مواعيد' يعبر الشاعر عن عجزه من أن يعد صديقه أن يلقاه غدا في مكان خاص. ويحكي أنه يخاف أن عملاء الولاة والحكام يعتقلونه أو يقتلونه في أي وقت. فيصرح لصديقه أن يسأل الدولة عن أموره لأنها أدرى به منه. يسخر الشاعر من الفوضى السائد في الوطن العربي ومن الحكام الذين سلبوا أمن البلاد، قائلاً:

"لا تسألني

أي وقت ستراني في غد

أو أين؟ أو كيف؟

فإني

ربما قلت سأقضي الليل في بيتي

فأقضيه بسجني

ربما أدعوك للمسرح

لكن.. قبل أن أبلغه

أفقد عيني

¹⁵⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 78.

ربما ترغب أن ألقاك في المقهى

.. فتلقى جثتي، ساعة دفني

أنا لا أدري متى أمضي

ولا أين، ولا كيف،

فلطفلا لا تسلني

واسأل الدولة عني

فهي أدري بي مني!¹⁵⁶

في شعر 'الرجل المناسب' يأتي الشاعر بمثال يخبر عن مدى اتساع الفوضى في بلده. يحكي حكاية طريفة ليسخر من الولاة الذين أفسوا الفوضى والفساد في الوطن. يقول إن الوالي قرر شنق رجل الذي قتل أخا الشاعر. ولكن الجلاد اشتكى من قصر قامة القاتل حيث لا يصل رأسه إلى حبل المشنقة. فأصدر الحاكم قضاءه لشنق الشاعر بدلا من قاتل أخيه. يقول الشاعر:

"باسم والينا المبجل

قررنا شنق الذي اغتال أخي

لكنه كان قصيرا

فمضى الجلاد يسأل

رأسه لا يصل الحبل

فماذا سأفعل؟

¹⁵⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 107.

بعد تفكير عميق

أمر الوالي بشنقي بدلا منه

لأنني كنت أطول!"¹⁵⁷

في قصيدته 'عقوبات شرعية' يكشف الشاعر عن مدى ما يعاني الشعب من الفوضى داخل أوطانهم. عذب الولاة شعبيهم بدون أي خوف من الدستور أو القانون، فجعلوا الوطن كالجحيم. يحكي الشاعر حكاية عن تعرضه لقسوة الحكام وجورهم ليخبر عن معاناة شعبه من الفوضى الذي وقع بلاده فيه. قطع الوالي لسان الشاعر حين رآه يغني شعرا دون أن يحصل ترخيصا منه، ثم قطع يديه حين رآه يرسل أشعاره إلى أصدقائه، ثم حين رآه الحاكم يمشي بين الناس صامتا أمر الوالي بإعدامه على تهمة أنه لم يصفق حين يراه. يقول الشاعر:

"أمر الوالي بإعدامي

لأنني لم أصفق

-عندما مر-

ولم أهتف...

ولم أبرح مكاني!"¹⁵⁸

ومن أهم أسباب سقوط البلاد في الفوضى سوء سياسة الحكام المستبدين، وقلة حكمتهم، وكثرة تمردهم وعنادهم. نشروا في البلد الرقباء والمخبرين الجاهلين وليس لهم من المؤهلات إلا إفراطهم في خضوعهم لهم وسخطهم على الشعب. فعذبوا الناس وقتلوهم لمجرد تهم

¹⁵⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 67.

¹⁵⁸ نفس المرجع، ص: 15

اتهمت بدون فحص ولا تحقيق. يسخر الشاعر منهم ويهجوهم في قصيدة 'الطب يضر
بضحكتك' ويحكي قصة شاب صديق له، يدرس في الكلية الطبية. يوما اعتقله المخبر حين
رآه يقرأ عن 'تكون الخلية' لظنه أن الشاب يحاول في تأسيس خلية ثائرة ضد الحكومة لعلمه
عن ميوله الحزبية. ثم أذاقه أنواعا من العذاب حتى قتل من شدتها. بل أنكر الحاكم أمر
التعذيب وأخبر أن سبب وفاته هي سكتة قلبية، لا غير. يقول الشاعر:

"لي صاحب

يدرس في الكلية الطبية

تأكد المخبر من ميوله الحزبية

وقام باعتقاله

حين رآه مرة

يقرأ عن تكون 'الخلية'

وبعد يوم واحد

أفج عن جثته

بحالة أمنية

في رأسه رفسة بندقية

في صدره قبلة بندقية

في ظهره صورة بندقية

لكنني

حين سألت حارس الرعية

عن أمره

أخبرني

أن وفاة صاحبي قد حدثت

بالسكتة القلبية " 159

لقد صور الشاعر في أشعاره دور كل من الشرطة والجند والقضاة في إفشاء الفوضى وتضييق حياة المواطنين. طاردت الحكومة كل من وقع عليه الشك أنه قائم ضدها بأسلوب غير مألوف في البلاد. ساند الجند والشرطة والقضاة الحكومة في أفعالها التعسفية وانتقاماتها ممن لا ترضاه. وعملوا حسب رغبة الحكومة فاعتقلوا من وقع عليه سخط الحكام بدون سبب يذكر أو على اتهامات تافهة أو افتروا بها. في قصيدته 'التهمة' يصور الشاعر هذه الحالة المأساوية حيث يزعم أنه اعتقل مرة حين يمشي وحده في إحدى الطرقات. وكان تهمة ارتكاب جريمة التجمع المشبوه. يقول الشاعر:

"كنت أسير مفردا

أحمل أفكارى معي

ومنطقي ومسمعي

فازدحمت

من حولي الوجوه

قال لهم زعيمهم: خذوه

سألهم:

¹⁵⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 55.

ما تهمتي؟

فقل لي:

تجمع مشبوه!¹⁶⁰

يحكي الشاعر حكاية مدهشة في قصيدة 'المتهم' ويدعي أنه كان يمشي في الطريق بالحدز ومتجنباً عن جميع معاملات مثيرة للجدل. بل منعه الجند في الطريق واعتقله إثر اكتشافهم بعد الفحص الدقيق أن المتهم بسبب الحكومة قد سلم في يوم من الأيام على صديق جار الشاعر. يسخر الشاعر من عمليات الأمن الوطني التي صارت لعبة في أيدي السفهاء. والأمر المدهش الذي يشير إليه الشاعر أن الجناية المتهمة على المدعى عليه أنه سب الظلام في العام الماضي حين مر بالقصر وظن الجند أنه سب الملك، والتهمة على الشاعر اكتشافهم أن هذا الرجل قد سلم على صديق جار الشاعر. يشير الشاعر أيضاً إلى اضطراب المواطنين أن يمشوا في الطرقات بدون صوت ولا حركة مثيرة للجدل لشدة بطش رجال الأمن. يقول الشاعر:

"كنت أمشي في سلام

عارفاً عن كل ما يخدش/ إحساس النظام

لا أسمع السمع/ لا أنظر/ لا أبلع ريتي

لا أروم الكشف عن حزني

وعن شدة ضيقي

لا أميط الجفن عن دمعي

¹⁶⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 14.

ولا أرمي قناع الابتسام

كنت أمشي... والسلام.

فإذا بالجند قد سدوا طريقي

ثم قادوني إلى الحبس

وكان الإتهام:

أن شخصا مر بالقصر

وقد سب الظلام/ قبل عام

ثم بعد البحث والفحص الدقيق

علم الجند بأن الشخص هذا

كان قد سلم في يوم

على جار صديقي!"¹⁶¹

يحكي الشاعر في قصيدة 'في جنازة حسون' حكاية عن ولد صغير، شهد في جنازة جاره حسون. فسمع الولد صياح أهل حسون يندبون ويقولون: يا حسون، يحيطك الموكلون بالحساب، ثم يسألون، ثم يسألون، ثم يسألون، ويلاه يا حسون. حين سمع الولد هذا سأل أباه بسذاجته: هل يدخل الأموات أيضا في غرف التحقيق؟! يرد الشاعر على لسان أبيه معبرا سخريته من الفوضى الذي وقعت البلاد في غماره، ويشبه الوطن العربي بغرف التحقيق الواسعة قائلا:

¹⁶¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 56.

"فقال يا ولدي

لكنهم

من غرف التحقيق يخرجون"¹⁶²

في مثل هذه الظروف يعتمد المواطن على القانون كأخر مأوى له للخلاص من الجور والقهر. ولكن القوانين كلها مجهزة ومزيفة ومؤولة لصالح الحكام. فالمحاكم التي يأوي إليها المواطن ويعرض شكاواه تقف بجانب الحاكم، وتحكم له. في قصيدة 'عدالة' يأتي الشاعر بحكاية غريبة ليسخر من قوانين الدولة التي تبرئ الحاكم وتبرر أفعاله الشنيعة وتعذب الشعب. يحكي أنه حين افتري عليه الحاكم التهم واعتقله على أساسها التجأ إلى القانون. بل سرعان ما عرف أن القوانين أيضا تقف مع من له القوة والحكم. يقول الشاعر:

"من يملك القانون في أوطاننا

هو الذي يملك حق عزفه!"¹⁶³

يرى الشاعر أنه غمر وطنه غطاء من الخوف. المواطنون كلهم يرتجفون خوفا من الحكام والولاة والسلطات والشرطة والمخبرين. وفي قصيدته 'المختلف' يصور الشاعر الخوف ومدى تأثيره على شعبه. فيحكي عن رجل يدعي أنه لا يرتجف خوفا ولا يهرب ولا يصمت حين يخاف جميع الناس. ثم يكشف عن سره ويوضح أنه بشدة خوفه يخاف أن يخاف!. يقول الشاعر:

"يرجف الناس من الخوف،

ولا يبدو علي الارتجاف.

¹⁶² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م ص 80.

¹⁶³ نفس المرجع، ص: 14

يصمت الناس من الخوف،

ووحدي مستمر بالهتاف.

يهرب الناس

إذا الشرطي طاف

وأنا أتبعه طول المطاف!

إنني مختلف عنهم

أشد الاختلاف

وعلي الاعتراف

إنني لست شجاعا

بل أنا من فرط خوفي

خائف من أن أخاف!¹⁶⁴

¹⁶⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 231.

الفصل الرابع

الاستعمار

بدأت محاولات دول أوروبا للسيطرة على البلدان العربية منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي حيث تمكنت بريطانيا من السيطرة على الخليج العربي وأراضي اليمن في منتصف هذا القرن¹⁶⁵. ثم وسعت نفوذها إلى مصر والسودان في نهاية ذلك القرن نفسه. شرعت فرنسا احتلالها الأراضي العربية منذ عام 1798م حيث احتلت مصر على قيادة نابليون بونابارت. بدأ الاستعمار الفرنسي في الجزائر عام 1830م ثم وسعت فرنسا نفوذها إلى تونس. وفي بداية القرن العشرين الميلادي تمكنت فرنسا من السيطرة على موريتانيا والمغرب.

تشتتت البلدان العربية بعد الحرب العالمية الأولى وصارت كلها أو جلها مستعمرة لدول أجنبية من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها. بعد جهود جبارة وإضرابات شديدة وتضحيات عظيمة نالت دول العرب استقلالها من النفوذ الأجنبي. ولكن المستعمرين لم يغادروا البلاد إلا وأبقت آثارها فيها، ولا سيما أمريكا حيث تتدخل في سياسة الدول قهرا أو مستجابا لدعوة حكامها. حكام العرب- بسفاهتهم وطمعهم- استعانوا من الدول المستعمرة لاحتفاظ عروشهم وقمع ثورات قامت ضدهم حتى صارت بلادهم في قبضة المستعمرين من جديد. في قصيدة 'تحت الصفر' يشتكي الشاعر من سوء حالة وطنه ووجود جنود الأعادي المستعمرين مقيمين في وطنه متمتعين كل حرية. يقول:

¹⁶⁵ محمد سهيل طقوش. تاريخ الجزيرة العربية (الحديث والمعاصر). ط1. بيروت: دار النفائس، 2013م. ص160.

"أي قيمة

للشعوب المستقيمة

وسجاياها الكريمة

في بلاد هلكت

من طول ما دارت على أبارها

مثل المهيمة

واستقلت

وأساطيل العدى فيها مقيمة؟"¹⁶⁶

ظهر اهتمام أمريكا المتزايد بمنطقة الشرق الأوسط والعالم العربي مع بداية عقد السبعينات، لتدفق النفط التي لم يزل يزيد ويفيض في هذه المنطقة، وتفتقر المناطق الأخرى بانعدامها. فحرصت أمريكا على كنز النفط في الشرق الأوسط، ووضعت خطة عسكرية دائمة لحماية الخليج من أطماع الاتحاد السوفيتي. وجعلت أمريكا شاه إيران دور رجل البوليس في المنطقة. صارت أمريكا قلقة بعد سقوط شاه في الثورة الإيرانية، ولم ترض إلا بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية سنة 1980م.¹⁶⁷ فحرصت أمريكا على إبقاء الوطن العربي ممزقا قلقا لصالحها. فكانت جميع تدخلها في سياسة الوطن العربي، إما إرغاماً وإما تحذيراً لحماية أطماعها في المنطقة لا غير. وقد ظلت ثلاثة هواجس تلح على استراتيجية

¹⁶⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 153.

¹⁶⁷ محمد حسنين هيكل. حرب الخليج: أوهام القوة والنصر. ط 1. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992م.

أمريكا في منطقة الشرق الأوسط خلال العقود الماضية: النفط، وإسرائيل، والحفاظ على الأنظمة المعاونة معها.¹⁶⁸

إن الشاعر أحمد مطر من القليلين الذين عرفوا حقيقة القضايا السياسية التي يعانيها العالم العربي في العصر الراهن، ألا وهي وجود الاستعمار في الوطن العربي على الرغم من ادعاء زعمائه أنهم قضوا عليه. فجعل أشعاره حافلة بأبيات ساخرة وثائرة. يوضح الشاعر فيها أهداف الاستعمار في الوطن العربي وخضوع الحكام لها من أجل احتفاظ على عروشهم وقمع شعبيهم. يقول الشاعر في قصيدة 'يوسف في بئر البترول' عن رجوع الاستعمار من جديد بارتداء أثواب جديدة. فاستخدم كلمة 'البيت الأسود' ليرمز بها الوطن العربي الذي يتشرف بوجود الكعبة. وأتى بكلمة 'بيتا أبيض' ليرمز بها بلاد أمريكا. ثم يذكر تدخل أمريكا في أمور الدولة. يقول الشاعر:

"أرى حول البيت الأسود

بيتا أبيض

يجري بثياب الإحرام

يرمي الجمرات على صدري

ويقبل خشم الأصنام

ويحد السيف على نحري

يوم النحر"¹⁶⁹

¹⁶⁸ فتوح الخترس، وآخرون. الغزو العراقي للكويت. الكويت: سلسلة عالم المعرفة. العدد 195. ص 50.

¹⁶⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 93.

في قصيدته 'فروض المناسبة' يسخر الشاعر أحمد مطر من الوضع الدنيء، حيث يضطر الوطن أن ينتظر إذن أمريكا ودول الاستعمار في تخطيط أي مشروع وتنفيذه حتى في أمور تافهة. يحكي الشاعر عن رؤساء وطنه الذين يستأذنون من أمريكا وبلدان أوروبا الرخصة والإذن لعقد حفلة بمناسبة الاستقلال الوطني. وينتظرون صابرين مطمئنين عليها أعواماً.

"استأذنا من أمريكا

وطلبنا رخصة أوروبا

ورجونا إخوة شاحال

بسنا أبوابا مقفلة/ ولحسنا صدى الأقفال

ووهبنا الأنفس والمال

ووقفنا في الباب نياما/ ونزعنا لهم السروال

قالوا: سنفكر في هذا!

بعد جدال طال وطال/ وامتد ثلاثة أجيال

رح وتعال/ وقيل، وقال، وحيث، ورب

وإن، ولكن، وبما أن، وأية حال

أعطونا الإذن بمثقال

الحمد لله/ أصبح في إمكان الدولة

أن تعمل، في الخفية، حفلة / لمناسبة الاستقلال" ¹⁷⁰

¹⁷⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 246.

إن تدخل أمريكا في سياسة الدول العربية وطمعها أمر لا غبار عليه. فقد كان الشاعر من طليعة من عرف أن أمريكا هي وحدها وراء كل توتر سياسي في المنطقة، حيث تعمل وراء كل مشكلة. ثم تأتي إياها في زي الناصح الأمين لتساعد الوطن في حلها. يكشف الشاعر عن حقيقة أهداف أمريكا ويصورها في قصيدته 'الحصاد'. يحكي الشاعر أن أمريكا تبعث كلبها إلى الوطن العربي. فالحكام يستغيثون بها للتخلص من مهاجمات الكلب. فتأتي أمريكا على نفقة الوطن وتطلق النار ولكن ينجو كلبها ويموت الشعب بإصابة إطلاق النيران. ثم بعد إبعاد الكلب عن الوطن تمكث أمريكا في الوطن على ذلك أعواما. يقول الشاعر:

"أمريكا تطلق الكلب علينا

وبها من كلبها نستنجد

أمريكا تطلق النار لتنجينا من الكلب

فينجو كلبها... لكننا نستشهد!

أمريكا تبعد الكلب... ولكن

بدلا منه علينا تقعد"

في نهاية هذه القصيدة نفسها، يوضح الشاعر موقفه من أمريكا واحتلالها في الوطن العربي. فيقول إنه لا يوافق مع أمريكا في تدخله في أمور الدول مهما أجبرت عليه. ويعلن أنه سيكون حرا ولو نجحت أمريكا في استعباد جميع الناس سواه. ويعلن الشاعر كفره وإلحاده في أمريكا حين يهتف الآخرون أنها إلههم المعبود. يسخر الشاعر منها ومن عملائها بأبيات ساحرة:

"أمريكا لو هي استعبدت الناس جميعا

فسيبقى واحد/ واحد يشقى به المستعبد

واحد يفنى ولا يستعيد

واحد يحمل وجهي/ وأحاسيسي

وصوتي/ وفؤادي... واسمه من غير شك: أحمد

أمريكا ليست الله

ولو قلتم هي الله

فإني ملحد" ¹⁷¹

يصور الشاعر في قصيدة 'ذخر' كيفية تدخل أمريكا في أمور الدول العربية ويوضح كيف تتفاعل الدول بتدخلها. ينقد الشاعر الأنظمة، أنها بغبائها لا تفهم مكاييد أمريكا في إشعال الفتن، فيتهمون الشعب ويسبونهم وينتقمون منهم بكل شدة. يشبه الشاعر الدول وغبائها بأعمال مجنون اسمه حنون. يحكي الشاعر أنه سأل مرة حنونا عما يفعل حين يعرف أن في طعام عياله سم قاتل وأهله لا يدرون عنه. فأجاب أنه سيسد الباب ويذرهم يأكلونه. فأوضحه الشاعر أنهم سوف يموتون إذا أكلوا السم. فقال بدون انزعاج: إذن أنا أنتف شعري وأسب السم وأكسر الماعون. يقول الشاعر معبرا عن دهشته منه وساخرا من رؤساء بلده:

"قلت لحنون المجنون:/ لو كان بماعون سم

وذوو المنزل لا يدرون/ ماذا تفعل يا حنون؟

قال: أسد الباب عليهم/ وأخليهم يتغدون.

وأذكرهم أن يغتسلوا/ بعد الوجبة... بالصابون.

¹⁷¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 152.

قلت: ولكن سيموتون

قال: إذن سأنتف شعري

وأسب السم الملعون.

ثم أحاصره في صحن/ وأقوم بكسر الماعون.

رحت أقبله في جذل/ وأصبح كطفل مفتون:

لو تدري ماذا ستكون!/ يا ابن أبي حنون البشرى

ستكون لأمریکا ذخرا

حين يموت (البنتاغون)¹⁷²"

في قصيدته 'جواز' يسخر الشاعر من أمريكا ومحبيها من الحكام العرب وروادهم مدعيا أن حب أمريكا وحب من يحبها تعد من الكبائر، والبراءة منها تعد من الأعمال الصالحة التي تضمن الجنة، ويستدل حيث يحكي أن رجلا في يوم القيامة حين يحاسب وليس لديه ما يكفيه من الأعمال الصالحة وقد ارتكب جرائم كثيرة يطلب من ربه المَعذرة ويعلن عن براءته من حب أمريكا فينجو من العذاب ويدخل الجنة. يقول الشاعر:

"لكنني...

كنت بريئا دائما

من حب أمريكا

ومن حب من أحب أمريكا

وعليها وعلى آبائه اللعنة

¹⁷² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 283.

هل لي شفاعة؟

قيل: ادخل الجنة!¹⁷³

ينقد الشاعر أمريكا نقدا لاذعا في قصيدة 'العشاء الأخير'، ويلومها في أعمالها الشنيعة في الوطن العربي وانخراطها في التخريب والإفساد في أنحائه المختلفة من أجل حاجتها للنفط وبيعها للأسلحة. يصرح الشاعر جهرا عن مقامه ضد أمريكا ويوضح أن أمريكا هي نفسها الشجرة الكبيرة التي تتفرع منها الخبائث والشر ويؤكد أن كل شر في العالم أغصانها المفرعة منها. يزعم الشاعر أن أمريكا تزرع الطغاة في مختلف أنحاء العالم العربي لصالح رغباتها، وتقلع كل ما يعرقل في سبيلها. يقول بكل صراحة:

"أنا ضد أمريكا إلى أن تنقضي

هذا الحياة ويوضع الميزان

هي جذر دوح الموبقات، وكل ما

في الأرض من شر هو الأغصان

من غيرها زرع الطغاة بأرضنا

وبمن سواها أثمر الطغيان"¹⁷⁴

إن الشاعر أحمد مطر ممن أدرك أن بلادهم لم تزل لعبة في أيدي أمريكا، وأن سلاطين العرب جلهم عملاء الحكام الأجانبين، لا يرغبون في رقي أحوال الوطن ولا الشعب، وإنما بهمهم بقاء عروشهم وعافيتهم وعافية عيالهم. فيستعينون بالمستعمرين، ويشترون منهم

¹⁷³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 196.

¹⁷⁴ نفس المرجع، ص: 313

أسلحتهم ليستخدموها على الشعب لقمع ثورات الشعب ولمهاجمة الدول المجاورة. فيعودون بعد كل حرب مفلسين، فيقرضون المال من البلاد الأجنبية ويشترون بها الأسلحة. أدرك الشاعر هذه الحقيقة وبادر في نقد الحكام وتوعية الشعب بقصائده. في قصيدته 'شطرنج' يسخر الشاعر منهم ويكشف عن لعينهم بأموال الشعب وأنفسهم في إرضاء المستعمرين ويصرح أن بلده صارت الثامنة من عجائب الدنيا.

"منذ ثلاثين سنة

نسخر من عدونا لشركه

ونحن نحبي وثنه

ونشجب الإكثار من سلاحه

ونحن نعطي ثمنه

فإن تكن سبعا عجائب الدنيا

فنحن صرنا الثامنة

بعد ثلاثين سنة!"¹⁷⁵

معظم الحكام ينكرون أمريكا ودول الاستعمار علانية ويهاجمون عليهم ويظهرون كراهيتهم لهم ولكنهم في السر يعانقونها ويخضعون لها ويتواضعون أمامها. فهم يشتمون أمريكا على أفعالها الشنيعة علانية، ولكنهم في جوفهم يخافونها ويحترمونها ويعتمدون عليها. يخاطبهم الشاعر في قصيدته 'قواعد' ساخرا منهم:

"بدعة

¹⁷⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 16.

عند ولاة الأمر

صارت قاعدة.

كلهم يشتم أمريكا.

وأمریکا

إذا ما نهضوا للشتم

تبقى قاعدة.

فإذا ما قعدوا

تهض أمريكا لتبني.. قاعدة"¹⁷⁶

يصور الشاعر في قصيدة 'يا ليل... يا عين' نفسية حكام العرب ويكشف عن منافستهم في سبيل إرضاء أمريكا ودول المستعمرين. يقول إن حكامهم يرهنون أموال الشعب لإسعاد أمريكا، وهم يجترئون لارتكاب أي جريمة في سبيل إرضاء المستعمرين ولو كلفوا ببيع الدين والكعبة لباعوا ولو مجاناً. يقول الشاعر:

"ذلك القواد فوق العرش قواد

يسوق الأرض والعرض إلى ماخور أمريكا

وإن لم ترض أمريكا بهذا العرض يخجل

فيبيع الله والقرآن والكعبة بالمجان/ كي لا يتبدل"¹⁷⁷

¹⁷⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 40.

¹⁷⁷ نفس المرجع، ص: 97

الفصل الخامس

القضية الفلسطينية

فلسطين ونكبتها جرح عميق لم يزل ينزف دما بالجسد العربي، جرحته الصهيونية المتطرفة بمساندة من دول الاستعمار. لقد لعبت قوات الاحتلال دورا حاسما في تقسيم تراب فلسطين وتشريد سكانها العرب من مساكنهم وتسليمها لحليفهم الصهيوني. شارك الشاعر أحمد مطر الشعب الفلسطيني في معاناتهم ومقاساتهم. فقد ظهر تأثير ذلك في أعماله الشعرية حيث ألف قصائد عديدة تعالج القضية الفلسطينية بأوجهها المتنوعة. ساند الشعب الفلسطيني المكافح بكلمات ثورية تحريضية حتى ظن كثير من الناس أنه فلسطيني الأصل. سعى أحمد مطر في أشعاره لإبراز العلاقة السرية بين زعماء العرب والصهيونية وقوات الاحتلال بكلمات ساخرة أكثر من وصف معاناة الشعب من الصهاينة. يوضح كمال أحمد غنيم أن الذي يتتبع قصائد الشاعر يعرف حتما أنها تفوح برائحة فلسطين الجريحة حيث يأتي الشاعر بلافتاته كلما اعتدى الأعداء على فلسطين وأهلها، ويعبر عن شعوره عند كل تطور يحدث في صعيد فلسطين. ويتألم الشاعر ويبيدي حزنه ويأسه من المحاورات التي لا تأتي بأي فائدة ولا تطور إيجابي في القضية. لم يخش الشاعر أن ينتقد القادة وأساليبهم الفاشلة في إتيان حل حقيقي للقضية.¹⁷⁸ في قصيدة 'عائدون' يرى الشاعر أن مأساة الفلسطينيين لا تنتهي بل تتواصل على مر الزمان. يبدي الشاعر يأسه من وعد رؤساء

¹⁷⁸ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 75.

العرب أنهم سيعيدون فلسطين لأهلها. ويصور الشاعر شدة معاناة الفلسطينيين حين يقول أنهم هرموا حين يولدون من شدة الجزع. ويشير إلى أن المأساة تشاهدها وتشاركها الأجيال. وينتقد الشاعر من القادة ويبين أنهم يخدعون الشعب الفلسطيني المكافح وهم مشغولون عن المقاومة باللغو واللهو. يقول الشاعر:

هرم الناس.. وكانوا يرضعون

عندما قال المغني :

عائدون.

يا فلسطين وما زال المغني يتغنى

وملايين اللحون

في فضاء الجرح تفتى

واليتامى.. من يتامى يولدون.

يا فلسطين وأرباب النضال المدمنون

سأهم ما يشهدون

فمضوا يستنكرون

ويخوضون النضالات

على هز القناني

وهز البطون

عائدون

ولقد عاد الأسى للمرة الألف

فلا عدنا..

ولا هم يحزنون"¹⁷⁹

يصف الشاعر في قصيدة 'أسباب البقاء' الشعب الفلسطيني ومكافحاته لتحرير وطنه الحبيب من أيدي المغتصبين. يذكر الشاعر أن الشعب الفلسطيني يعاني من الفقر والعجز ككل شعب. ويؤكد أن الفلسطينيين على الرغم من هذا كله يعيشون بالهمة ويكافحون بالشدّة في سبيل تحرير وطنهم حيث يجدون الحافز للعيش من حبهم للوطن. يقول الشاعر في أسلوب حوار مع مواطن فلسطيني مكافح:

"ما عندنا خبز... ولا وقود

ما عندنا ماء... ولا سدود

ما عندنا لحم... ولا جلود

ما عندنا نقود!

- كيف تعيشون إذن؟!

- نعيش في حب الوطن

الوطن الماضي الذي يحتله اليهود

والوطن الباقي الذي يحتله اليهود...

- فيم بقاؤكم إذن؟!

بقاؤنا من أجل أن

نعطي التصدي حقنة،

¹⁷⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 20.

وننعش الصمود

لكي يظلا شوكة

في مقلة الحسود"¹⁸⁰

يبين الشاعر في قصيدة 'اتركونا' حماسة الولدان الفلسطينيين وهم يناضلون في طرقات فلسطين لتحرير وطنهم من المغتصبين وليس في أيديهم إلا الأحجار، فيرمون بها الجند الصهيوني مدافعين عن أسلحتهم الحديثة ودباباتهم بدون خوف ولا يأس. ويسخر من حكام بلده الذين ينشغلون في الكسب والتجارة وينسون فلسطين وقضيتها. يقول الشاعر:

"حجر في كف طفل بفلسطين

عبادة.

وصلاة بضم القادة

في ظل السلاطين

قواده.

حجر في كف طفل بفلسطين

بلاد.

وبلاد ليس منها حجر الطفل

بلاد!

أيها المنشغلون الآن

في عد الملايين

¹⁸⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 270.

وفي نقل الدكاكين

من الزيتون للتين" ¹⁸¹

بدأت مناضلة العرب لتحرير فلسطين من أيدي الصهاينة منذ أمد بعيد. لكن المساعي كلها ترجع بدون جدوى. ضاعت بقعة جديدة من أيدي العرب عقب كل معركة. يرى أحمد مطر أن معظم رؤساء العرب لا يخلصون في مناضلتهم ولا في مساندتهم لأهلها. ويزعم أنهم يلعبون دورهم كدمى في أيدي المحتلين. يوضح الشاعر في قصيدة 'هزيمة المنتصر' أن السبب الرئيسي لهزيمة العرب في معركتهم هو رؤساؤهم المنافقون، ويلومهم أنهم في الحقيقة أصدقاء الصهاينة. ¹⁸² ويدعي في قصيدة 'ورشة إبليس' أن رؤساء العرب هم خرجوا ناجحين متدربين من ورشة قادها إبليس، وقد رضخهم إبليس في تفوقهم في نفاقهم وعدم إخلاصهم في حيم للدين والوطن، يقول الشاعر على لسان إبليس وهو يهم بالانصراف:

"وجوهكم أقنعة بالغة المرونة

طلاؤها حصافة

وقعرها رعونة

صفق إبليس لها مندهشا

وباعكم فنونه

وقال: إني راحل

ما عاد لي دور هنا

¹⁸¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 136.¹⁸² نفس المرجع، ص: 280

دوري أنا

أنتم ستلعبونه¹⁸³

في نهاية هذا الشعر يكشف الشاعر عن عادة حكام العرب، عندما يرتفع التوتر في هذه المنطقة يتذكرون فاتح القدس السلطان صلاح الدين الأيوبي. وأخذوا يندبون ويصرخون ويبدون رجاءهم لو كان صلاح الدين الأيوبي معهم الآن لنجوا من هذه المشكلة وقضوا على الصهاينة. يعبر الشاعر عجبه ويذكر أنهم يوقظونه من مرقدته مرارا في كل عام حتى يجبروه أن يقوم من القبر ويحضر أمامهم. يسخر الشاعر منهم ويوضح أنهم في ندائهم غير مخلصين، ولو أجاب صلاح الدين لدعوتهم وحضر لحاولوا لاغتياله، يقول:

"وغاية الخشونة

أن تندبوا:

قم يا صلاح الدين قم

حتى اشتكى مرقدته من حوله العفونة

كم مرة في العام توقظونه؟

كم مرة على جدار الجبن تجلدونه؟

أطلب الأحياء من أمواتهم معونة

دعوا صلاح الدين في ترابه

واحترموا سكونه

¹⁸³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 32.

لأنه لو قام حقا بينكم

فسوف تقتلونه" ¹⁸⁴

يعاتب الشاعر هؤلاء الرؤساء والقادة في قصيدة 'القرصان' ويزعم أنهم يخدعون الشعب المناضل الفلسطيني حيث لا يستعدون للمقاتلة بالصهاينة وحلفائهم ولا للدفاع عنهم حين يشنون هجومات شرسة على الشعب ويقتلون الأبرياء رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا. بل ينادون دائما للصبر والتحمل. يسخر الشاعر منهم ويوضح أن دعوتهم إلى الصبر ليس بحافز ديني بل بخوفهم من العدو. يصور الشاعر مثلهم قائلا:

"ولكن قام عبد الذات

يدعو قائلا: صبرا

فألقينا بباب الصبر آلافا من القتلى

وآفا من الجرحى

وآفا من الأسرى

وعبد الذات

لم يرجع لنا من أرضنا شبرا

ولم يضمن لقتلانا بها قبرا

ولم يلق العدا بحرا

بل ألقى دمانا وامتطى البحر" ¹⁸⁵

¹⁸⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 32.

¹⁸⁵ نفس المرجع، ص: 25

يرى الشاعر أن اختلاف زعماء العرب في معالجة القضية الفلسطينية من أهم أسباب فشلهم على وجه الصهاينة. إنهم لا يوافقون على الأمر أبدا بل يختلفون ويجادلون بينهم. إذا تقدم أحد للصالح يتأخر الآخر، وإذا رأى أحد الخير في المفاوضة رأى الآخر في المقاتلة. يسلط الشاعر الضوء على هذه الحقيقة المرة في قصيدة 'بين يدي القدس'. يخاطب الشاعر القدس ويقدم معذرتة أمامها، ويتعرف عن ضعفه وعدم وسعه في سبيل تحريرها. فيقول إنه ليس عنده إلا اللسان، ولكنه يذكر أنه يعيش في بلد يعاقب الشعراء أو يعدمون إذا كتبوا ضد الحكومة ولو كلمة واحدة. ثم يسترجع الشجاعة ويستأنف قائلا:

"سيدتي أخرجتني

فالعمر سعر كلمة واحدة

وليس لي عمران

أقول نصف كلمة

ولعنة الله على وسوسة الشيطان:

جاءت إليك لجنة

تبيض لجنتين

تفقسان بعد جولتين عن ثمان

وبالرفاء والبنين

تكثر اللجان

ويسحق الصبر على أعصابه

ويرتدي قميصه عثمان

سيدتي....

حي على اللجان!"¹⁸⁶

لقد عبر الشاعر عن إنكاره وقلقه فيما بدأ الرئيس المصري السابق أنور السادات عملية التطبيع بزيارته إسرائيل وتوقيع في اتفاقية كامب ديفيد سنة 1979م، وكان العرب منذ عصر النكبة يرفض التعامل مع دولة إسرائيل. ينبئ الشاعر في قصيدة 'نبوءة' أن رؤساء العرب سيتبعون خطوات الرئيس أنور السادات في عملية التطبيع.

"كل ما في الأمر

أن العبد

صلى مفردا بالأمس

ولكن الجماعة

سيصلون جماعة"¹⁸⁷

تحققت النبوءة كما هي، وسارت الدول في مسار أنور السادات. يسخر الشاعر في قصيدة 'الثور والحظيرة' من الرئيس أنور السادات الذي زار إسرائيل ووقع في اتفاقية كامب ديفيد غير مبال بأقوال الزعماء الفلسطينيين ومعرضا عن الاحتجاجات التي ارتفعت ضده من قبل الأمة العربية والإسلامية في مختلف أنحاء العالم. لقد انفرد أنور السادات في بادئ الأمر ثم تبردت الثورة والغضب والاحتجاجات، بل سلك بعض آخر في مسلكه. يصور الشاعر هذه الصورة المأساوية في هذا الشعر، قائلا:

¹⁸⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 36.

¹⁸⁷ نفس المرجع، ص: 15

"الثور فر من حظيرة البقر..

الثور فر.

فثارت العجول في الحظيرة

تبكي فرار قائد المسيرة

وشكلت على الأثر

محكمة.... ومؤتمر

فقائل قال: قضاء وقدر

وقائل: لقد كفر

وقائل: إلى سقر

وبعضهم قال: امنحوه فرصة أخيرة

لعله يعود للحظيرة.

وفي ختام المؤتمر

تقاسموا مربطه... وجمدوا شعيره

وبعد عام، وقعت حادثة مثيرة

لم يرجع الثور

ولكن

ذهبت وراءه الحظيرة"¹⁸⁸

¹⁸⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 21.

في شعر 'عاش.. يسقط' يخاطب الشاعر القدس ويشاطرها في نكبتها ويتكلم عن إخلاصه وحرصه لتحريرها من أيدي الصهاينة الأعداء. ولكنه يظهر عن ضعفه ويعتذر عما يجري داخل الوطن وخارجها من التخاذل والغدر. يكشف الشاعر عن حقيقة نفسية الزعماء العرب ويدعي أنهم يغدرون الشعب الفلسطيني ويخدعونه بوعود غير صادقة. يصرح الشاعر أنهم يجتمعون في المؤتمرات من أجل الترفيه والمجون لا للمفاوضات لصالح الشعب الفلسطيني ولا القدس. يقول:

"الغدر منهم خائف حذر

والمكر يشكو الضعف إن مكروا

فالحرب أغنية يجن بلحنها الوتر

والسلم مختصر:

ساق على ساق

وأقداح يعرش فوقها الخدر

وموائد من حولها بقر

... ويكون مؤتمر¹⁸⁹

¹⁸⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 21.

الباب الرابع: المهجاء السياسي في شعر أحمد مطر

الفصل الأول : هجاء الشعب العربي

الفصل الثاني : هجاء الشعراء والأدباء

الفصل الثالث : هجاء العلماء ورجال الدين

الفصل الرابع : هجاء وسائل الإعلام

الفصل الأول

هجاء الشعب العربي

لا يرتاب أحد في فضائل أصحاب رسول الله (ص) ومناقهم وقد هناهم الله سبحانه وتعالى بقوله "كنتم خير أمة أخرجت للناس..."¹⁹⁰ لأن الصحابة رضوان الله عليهم اقتفوا بقدوة رسول الله (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع. وقد وصاهم النبي (ص) أن يستمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله لئلا يضلوا من الصراط المستقيم، وحرصهم الكتاب أن يكونوا مع الصادقين،¹⁹¹ وألا تعاونوا في الإثم والعدوان.¹⁹² وعلمهم الرسول أن أفضل الجهاد قول الحق أمام السلطان الجائر.¹⁹³ عاشوا في القرون الأولى معتصمين على ما أرشدهم رسولهم. ولكن الذين خلفوهم نسوا الوصايا حينما فتنوا بالخلافات السياسية والأزمات في العصور الراهنة فامتألت قلوبهم بالرعب من حكامهم المستبدين.

الحكام المستبدون كانوا يقمعون الشعب ويؤذونه ويصبون عليه أنواعا من العذاب من أجل خوفهم من يقظة الشعب وثورته على حكمهم، حتى فازوا بتخويف الناس فأصبحوا طائعين أوامرهم بدون نقاش ولا جدل، وصامتين على جورهم وظلمهم. فصار الشعب العربي مصابا بالتجمد حتى لا ينهض ولا يدافع عن نفسه ولا يثور على من يؤذيه ويجعل حياته شقية ولا

¹⁹⁰ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 110

¹⁹¹ القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 119

¹⁹² القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية: 2

¹⁹³ علي بن سلطان محمد القاري. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للإمام التبريزي. تحقيق: جمال عيتاني. ج 7.

بيروت: دار الكتب العلمية، 2015م. ص 257.

يجهر بالقول معبرا عن ألمه وحزنه وكتابته مهما طالت معاناته وشدت مقاساته. يسخر الشاعر في قصيدة 'يقظة' من الشعب الذي لا يستطيع أن ينهض على وجه السلطان الجائر ويحكي أن منبه الساعة أيقظته وقال له ساخرا منه أنه قد آن وقت النوم. يقول الشاعر:

"صباح هذا اليوم

أيقظني منبه الساعة

وقال لي: يا ابن العرب

قد حان وقت النوم!"¹⁹⁴

يأتي الشاعر في قصيدة 'رقاص الساعة' برمز من رقااص الساعة ليشرح به أحوال الشعب العربي فيصرح أن الشعب يتحمل إيذاء المستبدين منذ زمن قديم ويصبر ويكتم أسفه وحزنه ويبتهل أمام الحكام لتخفيف العذاب، كما أن رقااص الساعة يترنج ويضرب هامته بيمين ويسار طول حياته، شاكيا من آلام يعانها، ولكن لا أحد يتقدم ليعزيه من آلامه. يتساءل الشاعر ويكشف عن نفسية الحاكم أنها لا تتغير فلا يتلطف الحاكم برعيته أبدا مهما طال شكاوته وبكاءه، ويقول:

"لو يدرك رقااص الساعة

أن الباعة

يعتقدون بأن الدمع رنين

وبأن استمرار الرقص دليل الطاعة"¹⁹⁵

¹⁹⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 13.

¹⁹⁵ نفس المرجع، ص: 19

ثم يوضح أن الحكام لن ينصرفوا من جورهم حين يروا الشعب قائما أمام باهم باكيا وشاكيا، بل يسرون حين يروه خاضعا ومطيعا لأوامره. ويوصي شعبه ألا يبكي ولا يتحمل ولا يصبر على الجور بل أن ينهض من سباته ويقوم بواجباته ويترك طاعة أوامر الجائرين. يقول مخاطبا رقااص الساعة:

"قف وتأمل وضعك ساعة

لا ترقص..

قتلتك الطاعة

يا رقااص الساعة"¹⁹⁶

لقد استخدم الشاعر أساليب شتى لإيقاظ الشعب من سباتها ومن أشدها تأثيرا هي السخرية. فقد سخر من الشعب العربي في قصائده لأسباب مختلفة. يسخر الشاعر منهم في قصيدة 'الذنب' ويبيدي غرابته من الشعب الذي لا يشكو من جور الحكام وفواحشهم ولا يثور عليه. يوضح الشاعر أن الكلب يعوي إذا ضربه أحد ولكن الشعب لا ينهض من سباته حين يؤذيه الحاكم الجائر. فيقول:

"يعوي الكلب

إن أوجعه الضرب

فلماذا لا يصحو الشعب

¹⁹⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 19.

وعلى فمه ينهض كلب

وعلى دمه يقعي كلب"¹⁹⁷

يعبر الشاعر في قصيدة 'إضراب' عن سخريته من شعبه الذي يخاف جور الحكام، ويحكي حكاية ليوقظه من سباته. يشبه الشاعر حال الشعب الكادح وحكامه يتمتعون من ثمرات جهوده بحالة جذور غرس وردة التي تجهد وتتمتع الوردة ثمرة جهود الجذور فتتكبر وتزدهر. كانت في البستان وردة جميلة ذاع صيتها حتى أتت إليها الطيور والفراش وتمدحها وتغني بأمجادها. أما جذور تلك الغرسة فكانت بجدها وجهودها توفر للغرسة الأغذية والشراب حتى تفتحت فيها الوردة وازدهرت. لكن لا أحد يعرف عن مشقات الجذور ولم يمدحها ولم تذكر الوردة عن دور الجذور. يوما أعلنت الجذور عن إضرابها وامتنعت عن العمل فخرت السيقان وهوت الوردة ذابلة حتى تم سقوط مملكة الوردة. ثم يبدي الشاعر سخريته من الشعب الذي لا يزال يكدح لإثبات قواعد السلطان بخوفه من قبضة السلطان وقهره عليه ويصرح الشاعر أن الإنسان جبان. يقول الشاعر:

"الورد في البستان

أصبح ثم كان

في غفلة تهدلت رؤوسه

وخرت السيقان

إلى الثرى

ثم هوت من فوقها التيجان

¹⁹⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 35.

مرت فراشتان

وردت إحداهما:

قد أعلنت إضرارها الجذور

ما أجبن الإنسان

ما أجبن الإنسان

ما أجبن الإنسان¹⁹⁸

يصور الشاعر جبن الشعب في قصيدة 'شيطان الأثير' بأبيات ساخرة. يحكي فيها أن الحاكم الجائر قطع يد صديقه ولم يكن عليه ذنب سوى أنه مد يده إلى مائدة رجل شبعان حين غلبه الجوع. فمشى بين الناس شاكيا عن حاله وجور الحاكم عليه. فجأة أعلن المذيع أن شكواه إشاعة لا حقيقة لها. فابتعد الناس عنه وانفضوا منه وكذبوه. والأمر المدهش أن هذا الرجل المقطوع يده أيضا كذب شكواه على أن البيانات الإذاعية كانت مثبتة ومقنعة. يقول الشاعر معبرا عن غرابة هذا الأمر وساخرا من الشعب الذي يخاف أن يجهر بكلمة حق عند الحاكم الجائر، أن شعبه الخائف لا يشك أن ينفي وجود الله إن لم تثبت الإذاعة عن وجود الله. يقول الشاعر:

"لعن الشعب الذي

ينفي وجود الله

¹⁹⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 57.

إن لم تُثبت الله

بياناتُ الإذاعة"¹⁹⁹

هكذا أصبحت الطاعة والسكوت على الجور من ملامح المواطنين العرب. يحكي الشاعر في قصيدة 'هوية' قصة رجل عربي نزل في مطار دولة أجنبية فعرفه الشرطي من منظره بدون أن يطلب منه بطاقته ولا أي ورقة تثبت هويته. يسخر الشاعر من الشعب العربي ويؤكد أنه بطول سكوته على الطغيان والجور أصبحت ذلك من ملامحه التي يعرف بها ولو كان قائما في جمع كبير. يقول الشاعر:

"في مطار أجنبي

حدق الشرطي بي

- قبل أن يطلب أوراقى-

ولما لم يجد عندي لسانا أو شفة

زم عينيه وأبدى أسفه

قائلا: أهلا وسهلا

... يا صديقي العربي!²⁰⁰

أحب الحكام المستبدون أن يكون رعيتهم يمدحونهم ويثنون عليهم فأغراهم بالجوائز والمناصب وخوفوا من يعصي أوامرهم بالتعذيب الشديد. فتنافس الشعب في القرض والإنشاد في مدح الحكام خوفا من التعذيب وطمعا في الجوائز. يكشف الشاعر في قصيدة

¹⁹⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 122.

²⁰⁰ نفس المرجع، ص: 67

'الحافز' عن عجز شعبه في ميدان الحرب عند لقاء العدو . ويوضح أن الشعب لم يمارس الحرب بل مارس مدح الحكام منذ زمن طويل. يسخر الشاعر من تحمله المذلة والهون منذ أمد بعيد حيث يدعي أن النملة هي أقوى من الشعب العربي الذي لا يدافع عن عرضه. يقول الشاعر:

"مئتا مليون نملة"

أكلت في ساعة جثة فيل

ولدينا مئتا مليون إنسان

ينامون على قبح المذلة

ويفوقون على الصبر الجميل

مارسوا الإنشاد جيلا بعد جيل

ثم خاضوا الحرب

لكن...

عجزوا عن قتل نملة"²⁰¹

يسخر الشاعر من شعبه في قصيدة 'أوصاف ناقصة' ويزعم أن قومه يعيش في الحقارة والمذلة بهدوء لا يثور عليها. والقصيدة في أسلوب لغز حيث يطرح السائل أسئلته ويجيب الشاعر عنها. وكانت الإجابات كلها "شعبي". فرد الرجل السائل قائلاً إن الإجابة الصحيحة هي الحذاء، فيدعي الشاعر أنه لا فرق بين الشعب والحذاء. يقول:

²⁰¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 120.

"قال ما الشيء الذي يمشي كما تهوى القدم؟"

قلت: شعبي

قال: كلا.. هو جلد ما به لحم ودم

قلت: شعبي

قال: كلا.. هو ما تركبه كل الأمم

قلت: شعبي

قال: فكّر جيداً

فيه فم من غير فم

ولسان موثق لا يشتكي رغم الألم

قلت: شعبي

قال: ما هذا الغباء؟!

إنني أعني الحذاء

قلت: ما الفرق؟ هما في كل ما قلت سواء"²⁰²

يسخر الشاعر من المواطن العربي الذي يرتضي جور الحكام، ويعيش في ظلالهم وينسى أنهم يسلبون حريته وحقوقه حتى مشربه ومأكله. يعاني المواطن معاناة قاسية في حكمهم ولكن ذلك الغبي ينسى جميع مآسيه حين يغريه الحاكم بوعده جاف أو بخبر كاذب. في قصيدته 'مشاتمة' يحكي الشاعر عن مشاتمة جرت بين حمار وصبي، ليسخر من المواطن العربي فيقول:

²⁰² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 183.

"قال الصبي للحمار: يا غبي

قال الحمار للصبي:

يا عربي!"²⁰³

في قصيدته 'حديث الحمام' يسخر الشاعر من شعبه ويحكي قصة أسراب الحمام مع صياد. كان لدى الصياد قفص جميل رائع. أسلاكه من ريش نعام، وسقفه من ذهب، وأرضه من شمع ورخام. وقد وضع فيه أرجوحة مذهلة وزهورا مغتسلة بالندى، وبالجملة كان آية من الجمال والروعة وفيه الماء والطعام والمنام. أغرى الصياد به الحمام ودعاها للدخول فيه. ووعداها بالعيش فيه بسلام. امتنعت الأسراب من أن تدخل فيه وقالت إن القفص - ولو كان بالذهب - يمنع الحرية ويجعل الجنة نارا حين يغدو مقفلا. ثم يهجو الشاعر شعبه الذي يثرثر عن عطاء السلطان وجوده وكرمه ويسكت عن سلبه منهم حريتهم واطمئنانهم. يقول الشاعر:

"لكن أسراب الأنام

حينما حدثها بالسوء صياد النظام

دخلت في قفص الإذعان حتى الموت

من أجل وسام"²⁰⁴

يكشف الشاعر في قصيدته 'سيرة ذاتية' عن بعض صفات المواطنين العرب ليسخر منهم من شدة تواضعهم أمام المستبدين. يزعم الشاعر أن من أشهر سماتهم أنهم لا يحركون

²⁰³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 197.

²⁰⁴ نفس المرجع، ص: 188.

أقدامهم إلا بعد إذن الحكومة. يحكي الشاعر عن نملة أوت تحت قدم رجل عربي لم يحرك قدمه منذ سنين خوفاً من السلطة. وفي الشعر نفسه يعلن الشاعر على لسان مواطن عربي أنه يشرب عصير العلقم ليسيغ الواقع المرّ، يسخر الشاعر بهذا المقطع من محاولة المواطن ليسيغ الواقع المرّ وينسى المعاناة بدلاً من أن يثور ضدّ الجور.²⁰⁵

ليس للشاعر رجاء في تغير أخلاق هذا الشعب، لتجاربه منه أنه لا ينهض من سباته أبداً. في قصيدته 'شروط الاستيقاظ' يبدي الشاعر عن يأسه منه، فيحكي أنه يريد أن ينام فترة لشدة يأسه من شعبه النائم على المذلة والجور. وأوصى أصحابه ألا يوقظوه إلا بعد استيفاء شروطه، وهي أن يمتلك الشعب العربي زمامه وأن ينبسط العدل أمامه، وأن ينطق الشعب الحق في كل أمر ولا يخشى فيه لومة لائم وغيرها. فردّه أصحابه أن نومه يستغرق إلى يوم القيامة. يقول الشاعر:

" - أيقظوني عندما يمتلك الشعب زمامه

عندما ينبسط العدل بلا حد أمامه

عندما ينطق بالحق ولا يخشى الملامة

عندما لا يستحي من لبس ثوب الاستقامة

ويرى كل كنوز الأرض

لا تعدل في الميزان مثقال كرامة

²⁰⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 225.

- سوف تستيقظ.. ولكن

ما الذي يدعوك للنوم

إلى يوم القيامة"²⁰⁶

يعاتب الشاعر أحمد مطر الشعب العربي في قصيدته 'ناقص الأوصاف'. فيزعم في السطور الأولى أن قومه ليس بشر ولكنهم خراف في خلقهم وسجيتهم. ويأتي ببعض أوجه شبه بين المواطن العربي والخراف. فيوضح أن قومه يقاد ويدعن ويذبح مثل الخراف. ثم يذكر بعض امتيازات الخراف واختلافاتها من قومه ليسخر من أحوال قومه وهم يعيشون تحت نير الاستبداد حاملين الذلة دون إظهار أي إنكار وانزعاج. وأخيرا يؤكد على أساس تلك الامتيازات أن قومه لا يستحق أبدا لتسمية الخراف. يقول الشاعر:

"لكن يظل بيننا وبينها اختلاف

نحن بلا أردية

وهي طوال عمرها ترفل بالأصواف

نحن بلا أحذية

وهي بكل موسم تستبدل الأظلاف

وهي لقاء ذلها... تشغو ولا تخاف

ونحن حتى صمتنا من صوته يخاف

وهي قبيل ذبحها

²⁰⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 225.

تفوز بالأعلاف

ونحن حتى جوعنا

يحيا على الكفاف

هل يستحق يا ترى تسمية الخراف!"²⁰⁷

يلوم الشاعر شعبه في قصيدته 'نحن بالخدمة' ويهجو على أنه شارك في نمو المستبدين الطغاة في البلاد. ويأتي برمز من الطبيعة ليوضح دور الشعب في توطيد حكم المستبدين. في السطور الأولى يذكر الشاعر دعوى الناس أن الطغيان جاء في وطنهم صدفة من الغيمة. جاءت بذرة الطغمة مع الأمطار. ثم يسأل عدة أسئلة ليكشف بها عن دور التراب والشمس والهواء في نمو شجرة الطغيان. ويشرح كيف لاقى من ساعد الطغيان للنمو والانتشار حتفهم بشدة القهر والعذاب. ويبين الشاعر أن الحاكم المستبد لا يتحقق طموحه على شعب يصل عدد أفراده ملايين إلا إذا قبلوا حكمه وانضموا في جيشه ومواكبه لخدمته. يؤكد الشاعر أن قومه يخلصون في خدمة الطغاة. ويسأل مدهشاً كيف ينجو هذا الشعب من عذاب الله لو دعا ربه أن يعذب هؤلاء الطغاة؟! لأنه هو نفسه سهل للطغاة طرقهم إلى كرسي الحكم. يقول الشاعر:

"لا يستطيع واحد

حكم الملايين إذا لم يقبلوا حكمه

ويستطيع عندما

²⁰⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 236.

يكون في خدمته جيش وجندرمة

ونحن بالخدمة

قبلتنا معدتنا.... وربنا اللقمة"²⁰⁸

يوضح الشاعر في قصيدة 'الواحد والأصفار' أن المواطن الخائف هو الذي يشجع الحاكم المستبد أن يواصل ظلمه وجوره على الشعب. فيحكي أن الأسد الخائف يظن الثعلب أسدا ويفر منه. ويخبر الشاعر شعبه أنه لو ثبت على أقدامه رافعا رأسه لم يجترئ المستبد على الظلم. يأتي الشاعر بتشبيهه ضمني من الواحد والأصفار فيدعي أن الواحد يبلغ مقاديره من المائة والألف والآلاف إذا قامت معه الأصفار كما يتقوى المستبد حين يقوم معه الشعب مقرا جوره. يقول الشاعر موضحا دور الشعب في نمو المستبد ليهجوه:

"والثعلب قد يبدو أسدا

في عين الأسد الخواف

ما بلغ الواحد مقدارا

لولا أن واجه أصفارا فغدا آلاف الآلاف"²⁰⁹

بيدي الشاعر عن حياته في قصيدة 'إلحاح' ويدعي أن هويته العربية صار عارا وعقوبة عليه، لأن الشعب العربي على حد تعبيره قوم لا يثورون على الجور والهون ولا ينزعجون على معاناتهم من المستبد. يحكي الشاعر عن حوار مع من يهيم باعتقله، فيقول:

"ما تهمتي؟"

²⁰⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 243.

²⁰⁹ نفس المرجع، ص: 266

تهمتك العروبة

قلت لكم ما تهمتي

قلنا لك العروبة

يا ناس قولو غيرها

أسألکم عن تهمتي

ليس عن العقوبة!"²¹⁰

في قصيدة 'انتساب' يسخر الشاعر من الشعب العربي ويزعم أنهم يفتخرون بأجداد آبائهم وأجدادهم وليس لهم منها شيء. يحكي الشاعر قصة كلب وقط وفأر بأبيات سهلة للفهم، يقول:

"بعدهما طارده الكلب

وأضناه التعب

وقف القط على الحائط

مفتول الشنب

قال للفأرة: أجدادي أسود

قالت الفأرة:

هل أنتم عرب!"²¹¹

²¹⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 236.

²¹¹ نفس المرجع، ص: 277

يسخر الشاعر من شعبه في قصيدة 'فتى الأدغال'، ويدعي أنه يلوذ إلى الكذب ليكتفم أصله العربي من أجل الحكام الجائرين. يحكي الشاعر أن حمالا سأله عن بلده حين كان في بقعة غريبة فخجل أن يكشف عن عرويته حتى يعرف الحمال أنه يجيء من بلد يحكمه- على حد تعبيره- البغال، فقال إنه يأتي من الأدغال ولكن السائل عرف عرويته من ملامحه. يقول الشاعر:

"قلت بلا تردد: أنا من الأدغال

حدق بي منذهلا

وصاح بانفعال:

حقا من الأدغال؟

قلت: نعم

فقال لي:

من عرب الجنوب... أم

من عرب الشمال؟! "²¹²

يسخر الشاعر في قصيدة 'المنشق' من التصدع في صفوف أهل بلده، فيصرح أن بلده يكتظ بكثرة الأحزاب. ويوضح أن أكثر الأشياء في بلاده هي الأحزاب والفقر وحالات الطلاق. كل حزب يؤسس ثم سرعان ما أن ينشق اثنين. يقول الشاعر ساخرا من هذا الوضع:

"لم يعد عندي رفيق

رغم أن البلاد اكتظت

²¹² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 303.

بآلاف الرفاق

ولذا شكلت من نفسي حزبا

ثم- أني مثل كل الناس-

أعلنت عن الحزب انشقاقى " ²¹³

²¹³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 330.

الفصل الثاني

هجاء الشعراء والأدباء

إن دور الأديب والشاعر حاسم في مصير كل شعب، على أنه قادر لإثارة عواطف الناس بأفكاره وأبياته، وفي استطاعته أن يميل شعبه وأتباعه بها حسب رغبته. غالباً ما يأخذ الأدباء موضوعاتهم من صميم حياة الشعب حيث يسجلون أحداثه ويخلدون مناقبه ويذكرون مآسيه، لأن الأديب الحق لا يستطيع أن يعرض عن المجتمع الذي يعيش فيه. حينما ظهر المستبدون في البلاد وجعلوا حياة الشعب مليئة بالمشقات والمحن، دعم الشعراء شعهم بقصائدهم فأثاروه ضد الحكومة. فأوجس الحكام المستبدون منهم خيفة، فأسرعوا إلى إسكات الأدباء طوعاً أو كرهاً. وبدؤوا يخوفون الأدباء والشعراء ليردعوهم من الكتابة ضدهم أو من إثارة عواطف الشعب عليهم، لمعرفتهم عن إقبال الناس إلى الأدب والشعر. فعينوا المخبرين لمراقبة الأدباء حتى تعرضوا للفحص والتحقيق والاعتقال. فابتعد كثير من الأدباء عن الشعب وامتنعوا أن يكتبوا في معاناته، ونسوا واجباتهم الاجتماعية بغض البصر عن مصائب الشعب وآلامه وأحزانه تحت حكم المستبدين الجائرين. يسخر الشاعر في قصيدة 'الأرمد والكحال' من الوضع السيء الذي يجبر فيه الحاكم على الشعراء أن يقولوا قولاً خالياً من المعاني والمفاهيم. ويوضح الشاعر أنه لا بد عليه أن يتخذ أسلوباً خاصاً لكي ينجو من إيذاء الحكام والولاة. يقول الشاعر:

"هل إذا، بئس، كما"

قد، عسى، لا، إنما

من، إلى، في، ربما

هكذا- سلمك الله- قل الشعر

لتبقى سالماً²¹⁴

يحكي الشاعر حكاية عن شاعر من ذلك القبيل في قصيدة 'أوراق'. ويذكر أنه يخاف الحاكم فيكتب قصائد لا يفهمها القراء ويكشف عن سر فعلته فيدعي أنه يخاف أن ينتقم منه الحاكم إذا عبر عما في نفسه صادقاً من حيث يفهمه المتلقي. ويوضح أنه دائماً في مراقبة الحكومة. فيضطر أن يغمض عينيه من المجتمع حيث لا يرى ما يقاسيه الشعب من الآلام والأحزان بظلم حكامهم وولاتهم. يشبه الشاعر أحمد مطر قصائد هؤلاء الشعراء بالورق المستخدم في المراحيض. ثم يسخر من الحكام قائلاً أن أوراق المراحيض لا يقع عليها المراقبة. يقول الشاعر وهو يسخر من أولئك الشعراء:

"أنت لا تفهم شعري

ما الغريب؟

أنا لا أفهمه أيضاً

ولكن ينبغي أن أتحاشى

كل ما يؤذي الرقيب

ينبغي أن أملأ الأوراق بالشعر

ولا أجرح إحساس عدو أو حبيب

²¹⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 31.

هذه الأوراق لن تصلح إلا للمراحيض

عجيب

ليت ربي يستجيب

يا صديقي

ورق المرحاض لا يخضع للفحص

كما تخضع أوراق الأديب²¹⁵

هجا الشاعر أحمد مطر شعراء الحكومة وسخر منهم في قصيدة 'الحي الميت'. يشرح الشاعر فيها عن معاناته من الحكام والولاة لاستمساكه بالمبادئ ووقوفه مع الشعب. بعث الولاة المراقبين والمخبرين إليه، فقاموا حوله يراقبونه ويفحصونه في كل خطوة حتى صار في الاعتقال دائما داخل وطنه وخارجه. يصرح الشاعر أن بدنه صارت معجزة عظيمة لما تعرضت للمراقبة الشديدة. ويقول سخريا أن نصف دمه بلازما والنصف الآخر خفير الدولة. ويعلن أن السبب الوحيد لمثل هذه المطاردة الشديدة هو رفضه للوقوف في صفوف شعراء الحاكم. يشبه الشاعر العطاء الذي يتلقاه الشعراء لدعمهم الحكومة بالشعير الذي ينال الحمار من صاحبه مقابل حمل أوزاره.

"المعجزات كلها في بدني

حي أنا

لكن جلدي كفني

أسير حيث أشتي

²¹⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 149.

لكنني أسير

نصف دمي (بلازما)/ ونصفه خفير

مع الشهيقي دائما يدخلني

ويرسل التقرير في الزفير

وكل ذنبي أنني

أمنت بالشعر... وما أمنت بالشعير

في زمن الحمير²¹⁶

الحكام المستبدون في حاجة ماسة إلى أدباء ماهرين ليزينوهم أمام الجماهير وليبرروا مواقفهم وليشيدوا بمناقهم المزيفة ويؤيدوهم ويردوا على تهمة يوجه إليهم بأقوال خالية من الحق. فجعلوا يجتذبون الشعراء ويثبتونهم في جانبهم إما بالإغراء وإما بالتخويف. في قصيدة 'أصفار' يعبر الشاعر عن عجبه من كثرة الشعراء الذين يسابقون ليشتهروا شعراء القصر إما بنظرتهم في المال والمنصب وإما مخافة من بطش الحكام. يسخر الشاعر منهم لأنهم يبيعون قريحتهم للحاكم ويبالغون في مدحه خلافا لما في نفوسهم قائلا:

"قرأت في الجرائد

أن 'أبا العوائد'

يبحث عن قريحة تنبح بالإيجار

تخرج ألفي أسد من ثقب أنف الفأر

وتحصد الثلج من المواقد

²¹⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 36.

ضحكت من غبائه

لكني قبل اكتمال ضحكتي

رأيت حول قصره قوافل التجار

تنثر فوق نعله القصائد!"²¹⁷

الشعراء الذين اشتراهم الحكام، بدؤوا يمدحونهم بغض العين مما يعاني الشعب من قسوتهم. يسخر الشاعر من شعراء هذا القبيل في قصيدة 'لا نامت عين الجبناء'، فيشبهه الشاعر ثغورهم بثغور البغايا ويدعي أنهم باعوا عرضهم من أجل الاكتساب. ويرى أن مكانتهم تحت حذائه مهما عظم عددهم وعدتهم، لأنهم يتركون شعبيهم ويهملون عن مصائبهم وينشغلون في كتابة أنساب للقطاع زورا. يخلع الشاعر عليهم أسوأ الأوصاف بأبياته الساخرة، قائلا:

"ورأيت مئات الشعراء

تحت حذائي

قامات أطولها يحبو

تحت حذائي

ووجوه يسكنها الخزي

على استحياء

تتدلى في كل إناء

وشفاه كثغور بغايا

²¹⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 26.

وقلوب كبيوت بغاء

تتباهى بعفاف العهر

وتكتب أنساب اللقطاء...²¹⁸

يعبر الشاعر عن سخريته وسخطه على شعراء القصر في قصيدة 'نعال الأحذية' ويحكي أنه ذهب يوماً إلى إسكافي في طلب نعل موافق لشرطه 'خشن الجلد ووبراق الطلاء'. فأشار الإسكافي إلى رف وراءه. فإذا كان فوق الرف صف من مئات الشعراء. انزعج الشاعر مما رأى وأظهر بأسه فقام الإسكافي بشرح فضائل الشعراء وأشار أنهم مخصوصون للبس الخلفاء، فرد الشاعر أنهم لا يصلح لسلامة القدم من الوحل والفواحش بانهماكهم فيها وصرح أنهم موافقون ليكونوا أحذية لحدائه ولكنه يحتاج الآن إلى حذاء يحيي قدمه. يقول الشاعر:

"قال: لم أخدمك... صدق

إن هذا الصنف

مخصوص للبس الخلفاء

قلت: إني أبتغي نعلا لرجلي

أنا لم أطلب حذاء لحدائي."²¹⁹

يأتي الأدباء والشعراء بأعذار كثيرة لتبرر وقوفهم مع الحكام وعملهم في مجالات وجرائد تصدرها الحكومة. في قصيدة 'أعذار واهية' يرد الشاعر لتلك الادعاءات والتبريرات. يخاطب الشاعر الكاتب ويحرضه أن يعيش حراً وأن يترك عمله في صحيفة الحكومة. ويقطع جميع

²¹⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 30.

²¹⁹ نفس المرجع، ص: 226

شبهات الكتاب وقلقهم بأقوال شديد التأثير وينصحهم أن يواصلوا الصوم وألا يفطروا

بالجيفة. يقول الشاعر:

"أيها الكاتب ذو الكف النظيفة

لا تسودها بتبييض مجلات الخليفة

أين أمضي

امض إلى الحائط

واكتب بالطباشير وبالفحم

وهل تشبيني هذي الوظيفة؟

أنا مضطر لأن أكل خبزا

واصل الصوم، ولا تفطر بجيفة

أنا إنسان وأحتاج إلى كسب رغيبي

ليس بالإنسان من يكسب بالقتل رغيفه

قاتل من يتقوى برغيف

قص من جلد الجماهير الضعيفة

كل حرف في مجلات الخليفة

ليس إلا خنجرا يفتح جرحا

يدفع الشعب نزيفه"²²⁰

²²⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 274.

يعلن الشاعر تمرده على شعراء الذين يبتعدون عن الشعب ومآسيه في قصيدة 'التكفير والثورة'، ويزعم أنهم يتقلبون في أقوال لا تؤذي المستبدين من الحكام والولاة لخوفهم منهم أو طمعا في جودهم. فيصرح أنه كفر بتلك الأنواع من الشعر ولعن أولئك الشعراء لوقوفهم مع المستبد الجائر الذي يؤذي الناس ويحبسهم ويقتلهم بدون رأفة. يقول الشاعر:

"كفرت بالأقلام والدفاتر

كفرت بالفصحى التي

تحبل وهي عاقر

كفرت بالشعر الذي

لا يوقف الظلم ولا يحرك الضمائر

لعنت كل كلمة

لم تنطلق من بعدها مسيرة

ولم يخط الشعب في آثارها مصيرة

لعنت كل شاعر

ينام فوق الجمل الندية الوثيرة

وشعبه ينام في المقابر"²²¹

²²¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 54.

الفصل الثالث

هجاء العلماء ورجال الدين

وردت عدة من تعاليم الدين تثبت فضل العلماء وفضل طلب العلم، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على العلماء بقوله: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"²²² فإن من شيمهم الظاهرة أنهم يخافون الله ولا يخافون غيره في قول الحق. ومن مسؤولياتهم أن يبلغوا نور الله وأن يدافعوا عن الباطل والظلم والظلمات، وأن يرشدوا الحكام ويهدوهم إلى العدالة والرشد والصلاح. لما استولى الدول حكام مستبدون ضغطوا على العلماء ورجال الدين أن يقفوا معهم لتخفيف غضب الشعب وإخماد ثورته إما بالترغيب وإما بالترهيب. أغرى الحكام علماء البلاد بوسائل مختلفة من المناصب والأعطية والهدايا. والذين رفضوا أن يخضعوا لهم بأنواع الترغيب، أخضعوهم بالترهيب. فجعلوا يعتقلونهم باتهامات ويعنفون عليهم بأنواع من العذاب. هكذا نجحوا بإمتلاك عنان العلماء في كل زاوية من زوايا الدولة حتى وقفوا مع الحكام يساندونهم في أمورهم كلها صوابا كان أم خطأ. دعموا الحكومة ووعظوا الشعب وأوصوه عن أهمية الطاعة والخضوع للحاكم، وذكره عن سوء عاقبة العصيان.

في قصيدة عنوانها 'أسباب النزول' يأتي الشاعر أحمد مطر بخير مثال لعالم يحاول أن يدعم الحاكم بوصيته للشعب أن يطيع السلطان في كل حال، ويؤكد أنه ليس في مسؤولية الشعب أن ينظر إلى معاملات الحاكم ولا إلى أعماله وأخلاقه بل يجب عليه الطاعة لكل ما

²²² القرآن الكريم، سورة الفاطر، الآية: 28

يأمره. يسخر الشاعر منه ومن كل عالم خاضع للحكومة وخائن للشعب فيصفه 'أعمى العميان' لأنه يغض نظره من الشعب وما يقاسيه من الآلام من جور حكامه وظلمهم، ويبادر في مدح الحكام ويطالب الشعب أن يصبر ويطيع أوامر السلطان ويعظهم أن 'تسعة أعشار الإيمان في طاعة أمر السلطان'. يعبر الشاعر عن دهشته ويسأل لو كان الإيمان في طاعة السلطان الجائر فلماذا نزل القرآن؟. يقول الشاعر:

"قال لنا أعمى العميان

تسعة أعشار الإيمان

في طاعة أمر السلطان

حتى لو صلى سكران

حتى لو ركب الغلمان

حتى لو أجرم أو خان

حتى لو باع الأوطان

أنا حيران

فإذا كان/ فرعون حبيب الرحمن

والجنة في يد هامان

والإيمان من الشيطان

فلماذا نزل القرآن"²²³

²²³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 229.

هؤلاء العلماء استغلوا تعاليم الدين وأخذوا من الكتاب والسنة ما وجدوه صالحا لدعم السلطان ولتحرير الشعب في طاعته وتركوا معظمها وراء أعقابهم. في قصيدة 'الله أعلم' يسخر الشاعر من العلماء الذين يأمرون الناس بالسمع والطاعة للحكام مهما كانوا جائرين وظالمين. يقول الشاعر بلسان عالم وهو يذكر الناس وينذرهم ألا يسيئوا الظن بالولاة ويذكرهم أن سوء الظن تعد من الذنوب حسب تعاليم الدين. فيوصيهم أن يتقوا النار ويتركوا سوء الظن بالولاة، قائلا:

"أيها الناس اتقوا نار جهنم

لا تسيئوا الظن بالوالي

فسوء الظن في الشرع محرم"²²⁴

ثم يوضح هذا العالم عما تنعم الدولة عليه من الأمن والنعم والسعادة مقابل خضوعه لها، فيقول إنه لا يجد سفاحا ولا قاتلا في طرقاته ولا يخاف أنه يغتال كما يغتال الناس. ويصرح أنه يتمتع بالحرية الكاملة في البلد. ثم يدعي أنه أبكم فلذا لا يتكلم، وليس للوالي دور في حبس صوته كما يظن الناس. يسخر الشاعر من العلماء الذين لا يرفعون صوتهم ضد جور الحكام بأبيات ساخرة.

"أيها الناس أنا في كل أحوالي

سعيد ومنعم

ليس لي في الدرب سفاح

ولا في البيت مأتَم

²²⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 25.

ودمي غير مباح وفي غير مكتم

فإذا لم أتكلم

لا تشيعوا أن للوالي يدا في حبس صوتي

بل أنا يا ناس... أبكم

قلت ما أعلمه عن حالي

والله أعلم²²⁵

هكذا اشترى السلطة علماء الوطن، فصاروا يميلون إلى الحكام ويفتون لصالحهم، ويدافعون عنهم الاتهامات والظنون. في قصيدة 'رحلة علاج' يحكي الشاعر عن رحلة الحاكم إلى لندن للترفيه والتنزه بل ادعى الحاكم أنه يرحل إلى لندن من أجل العلاج. في أرض لندن اختلط بالنسوة وشرب الخمر وفعل الفواحش. حين تكلم الناس عنه وعن أعماله قام العالم المفتي مزكيا السلطان من كل أوساخ الظنون. يصور الشاعر كيف يبرر العلماء فواحش الحكام ويحكي أن العالم يرد على شبهات الشعب حين رأوا الوالي يشرب النبيذ ويقوم مع النسوة. يقول الشاعر بأسلوب ساخر:

"قلت للمفتي:

كأن الشاي في قنينة الوالي نبيذ!

قال: هذا ماء زمزم

قلت: والأنثى التي...

قال: مساج

²²⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 25.

قلت: ماذا عن جهنم

قال: هذا ليس فسقا

إنما.... والله أعلم

هو للوالي علاج...²²⁶

يحكي الشاعر في قصيدة 'واعظ السلطان' عن تجربته من واعظ ديني يدعي للسلطان أثناء خطبته في يوم الجمعة. وأوصى الناس أن يصبروا فيما يعانونه من قسوة الحكام ويطيعوا السلطة في أوامرها وتكلم عن الصيام. وقد أطل حديثه عن فضائل الحكومة ووجوب الطاعة والخضوع للسلطان. وأندر الناس ونهاهم عن كثرة الكلام. ولم يقل قط عن الجهاد في سبيل الله. يسخر الشاعر منه ومن وعظه ووصاياهم للشعب الذي يعاني من قسوة الحكام ويصرح أن الخطيب يخاف السلطة أكثر من الله، كأنه يرى السلطان إلها مع الله حيث لا يستطيع أن يتكلم إلا ما أذن له الحكام ورضى به. يقول الشاعر:

"حدثنا الإمام

في خطبة الجمعة

عن فضائل النظام

والصبر والطاعة والصيام

وقال ما معناه

إذا أراد ربنا

مصيبة بعبده ابتلاه

²²⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 82.

بكثرة الكلام

لكنه لم يذكر الجهاد في خطبته

وحين ذكرناه

قال لنا: عليكم السلام

وبعدما قام مصليا بنا

وعندما أذن للصلاة

قال:

نعم... إله إلا الله"²²⁷

يسخر الشاعر من العالم العربي في قصيدة 'حديقة الحيوان' ويصفها حديقة الحيوانات كما يشير إليها عنوان القصيدة. يتكلم الشاعر عن الحكام من مختلف أنحاء الوطن العربي ويسخر منهم من جورهم على الشعب. يصف الشاعر علماء العالم العربي أنهم ذئاب، ويلومهم أنهم يقومون أمام الحكام والولادة كأنهم يعبدونهم ويخشونهم أشد الخوف. ويصرح أنهم يدعون الناس إلى طاعة الحكام مهما اشتد جورهم عليهم ويطلب منهم ألا يثوروا على الحكام ولا يتمردوا عليهم ولو أرادوا قتلهم، يقول الشاعر:

"فيه ذئاب

تعبد رب العرش'

²²⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 65.

وتدعو الأغنام إلى الله

لكي تأكلها في المحراب"²²⁸

وخلاصة القول، لقد هجا الشاعر علماء وطنه وأبدى سخريته منهم. يخافون الحكام ولا يخافون الله. يكشف الشاعر عن حيلهم في تقييد الشعب بالفتاوى الكاذبة، والوصايا الخائنة. ويصرح أنهم يؤولون الآيات الكريمة والأحاديث النبوية حسب حاجتهم ليردوا الشعب من غضبهم على جور الحكام. يسخر الشاعر من هؤلاء الحكام ليذكر شعبه المكافح عن مكاييد الحكام والعلماء.

²²⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 74.

الفصل الرابع

هجاء وسائل الإعلام

إن وسائل الإعلام أساس من أسس الديمقراطية الذي يراقبها ويقيم اعوجاجها ويؤيد مبادئها ويوسع سقفها حيث يستظل جميع المواطنين بظلها في كل بلاد. وإن لها يد لا تجحد في إصلاح الحكومات والسلطات حيث تتدخل في أمور الشعب وترفع قضاياها حيث ينتبه بها الحكام وولادة الأمر. من المرجو أن تعبر وسائل الإعلام عن شكاوى الشعب، وعن مقاساتهم ومطالبهم خلال صفحاتها ومنشوراتها. حين انتبه الحكام المستبدون عن تأثير وسائل الإعلام في الشعب، ومساندتها لثوراته واحتجاجاته بادروا بتقييدها بقوانين تعسفية وإجراءات انتقامية، فشددوا المراقبة على الصحف والجرائد التي تنتقد الحكومة وتقوم مع الشعب وطاردوا الصحفيين ليردعوهم من مناصرة الشعب ومساندته.

أسست الحكومة الجرائد وجعلت تغري الصحفيين وتقربهم منها ببذل الأموال ووعدهم بالمناصب تحت الحكومة، وخوفوا من لم يخضع لهم بالمراقبة والمطاردة حتى نجحوا في جلب كثير منهم إلى جانبهم. فبدؤوا يملؤون الصحف بمدائح الحكام ومناقبهم ويسهبون في تعداد مصالحتهم ويحرضون الشعب للطاعة والخضوع للحكام. فظهر جيل منهم يهملون عن معاناة المواطنين ويدعوهم إلى التكيف مع القيود التي طوقها الحكام في عنقهم ومع الأثقال التي حملوها على ظهورهم. في قصيدة 'مواقع' يسخر الشاعر من صحف تملأ صفحاتها

بمدح الحكام، ويوضح أنها حافلة بالخطوط والصور والسطور بل هي خالية من الأخبار،
وبعيدة من الواقع وليس فيها سوى أدعية لعافية الحاكم وطول حياته، فيقول:

"صحيفة..."

علمها سطور كثيفة

وفيهما سطور كثيفة

وفيهما خطوط، وفيها صور

تروح وتأتي بنفس الخبر:

يعيش الخليفة يحيا الخليفة"²²⁹

نجحت الحكومات في تخويف الجرائد والصحف حتى امتنعت بعضها لنشر ما لا يرضى به
الحكام، وما ينقد مواقف الحكومة، وما يصف أحوال الشعب تحت حكم المستبدين،
مقالات كانت أم قصائد أم رسوما. يسخر الشاعر من تلك الصحف في قصيدة 'ما أصعب
الكلام' التي تم تأليفها عقب اغتيال صديقه الرسام الفلسطيني ناجي العلي. يكشف الشاعر
عن نفاق تلك الصحف حيث إنها أغلقت أبوابها أمام ذلك الأديب الماهر ورفضت أن تنشر
رسومه ومقالاته أيام حياته، ثم تتقدم وتبدي حزنها ورثائها على نكبته بعد مماته. يقول
الشاعر ساخرا منها:

"فمدامع تبكيك لو هي أدركت لبكت على حدقاتها العمياء

ومطابع ترثيك لو هي أنصفت لرثت صحافة أهلها الأجراء

تلك التي فتحت لنعيك صدرها وتفننت بروائع الإنشاء

²²⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 276.

لكنها لم تمتلك شرفا لكي ترضى بنشر رسومك العذراء

ونعتك من قبل الممات؛ وأغلقت باب الرجاء بأوجه القراء"²³⁰

يدعي الشاعر أن هذه الوسائل هي من أدوات الحكام المستبدين لإخضاع شعبيهم ولإقامته تحت سيطرتهم ولإخماد الثورات والفتن. في قصيدته 'قلة أدب' يصف تلك الصحف والوسائل الأخرى 'بوسائل الإذعان' لأنها خضعت للحاكم وتركت نقد الحكومة وبدأت أن تعرض الشعب على طاعة الحاكم ولو كان جائرا، وتنصحه أن يسكت ولو لاقى من الحاكم ما يكرهه ويغضبه، ويذكره أن السكوت خير للشعب من أن يجهر بالولولة. يقول الشاعر:

"قرأت في القرآن:

تبت يدا أبي لهب

فأعلنت وسائل الإذعان

إن السكوت من ذهب"²³¹

يزعم الشاعر في قصيدة 'تشریح' أن هناك أنواع مختلفة من وسائل الإعلام وهي تتسابق في خدمة الحكام وتسليتهم وإرضائهم. ويوضح أنها أشد من كلاب القصر. يشرح الشاعر كيفية معالجة كل صنف من كلاب القصر، فيقول إن فيها ما ينبح في الباب والخير أن نهمله لأنه لا يضرنا، وصنف آخر يثب على من يمر به فلازم علينا أن نشغله عنا بوسيلة مناسبة، وأما الذي يقفو خطانا فنضله، والصنف الذي يلصق في أعقابنا فينبغي أن نركله برجلنا لنبعده عنا، والذي يوشك أن يعقرنا فلا بد من أن نرجمه بالحجر حتى لا يدنو منا لأن نسلم من

²³⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 7.

²³¹ نفس المرجع، ص: 13

عضه. ثم يؤكد أن وسائل الإعلام الخاضعة هي أشد من هذه الأصناف ضرا، فيبين أنها تخضع للسلطان وتمجده وتكتم جوره وعيوبه وتخون الشعب وتجبره لطاعته واحترامه واتباعه. يستطرد الشاعر إن هذا الصنف لا يستحق الرأفة والرحمة، لأنها تبرر ظلم الحاكم وجوره على الشعب المسكين وتشجعه في استمرار تعذيبه عليه. يقول الشاعر ويكشف عن أوصاف هذا الصنف:

"والذي يحمل أوراقا وأقلاما

ويستوحي من الإعدام إعلاما

ويغريكم بأن السم صحي

وأن الخير في أن تشربوه.

ويسمى لكم الثعبان سلطانا

ويدعو ذلك السلطان إنسانا

ويدعوكم لأن تحترموه.

ذلك الصنف قفوه

فخذوه واعتلوه.

واحشروا أوراقه في فمه

ثم احشروا أقلامه في فمه الثاني

وبولو فوقه... ثم اكنسوه

إنه الصنف الذي لو لم يوظف

لم يدم طغيان من قد وظفوه.

إنه الصنف الذي

ينفض عنكم بؤسكم

لو فض فوه.

إنه الصنف الذي لا ينبغي أن ترحموه!"²³²

وخلاصة القول، لقد هجا الشاعر وسائل الإعلام وكشف عن مضرات شعبه من تلك التي أخضعها حكام بلاده ترهيباً وترغيباً. وأبدى سخريته وتهكمه منها سعياً لتوعية شعبه ولإنذاره من مكيدات تلك الصحف والجرائد. وأوضح له هدفها الأساسي لصرف الشعب من سخطه وتمرده على حكاهم الجائرين المستبدين.

²³² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 304.

الباب الخامس: التكنيكات الشعرية عند أحمد مطر

الفصل الأول : المفارقة

الفصل الثاني : التناص

الفصل الثالث : الرموز

الفصل الرابع : أساليب التعبير

الفصل الأول

المفارقة

يعرّف الناقد الأمريكي واين بوث (Wayne C Booth) أن المفارقة لعبة لغوية، يقدم فيها صانع المفارقة النص بأسلوب يستثير إحساس القارئ ويدعوه إلى رفض معناه الحرفي لصالح المعنى الخفي الذي هو غالباً المعنى الضد، والقارئ أثناء قراءته يجعل اللغة يصطدم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ له بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يريده ليستقر عنده.²³³

يرى سيزا قاسم أن المفارقة أعقد من هذا التعريف كثيراً، وتعقيدها ينشأ نتيجة لعملية سكرها وحلها (Encoding and Decoding) حيث تشتمل على دال واحد ومدلولين اثنين، فيراها في هذه البنية شكلاً من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة.²³⁴

للمفارقة دور حاسم في تزويد القطعة الأدبية مزيداً من التأثير في نفوس القارئ حيث تغرس في وجدانهم فرصة التأمل فيما تقع عليه أبصارهم، أو يتنبه عليه إدراكهم من مظاهر التناقض والتغاير مما يشدهم للتبصر به والبحث عن العلاقات التي تجمع عناصر المتشكّل أمامهم وما بينها من اتساق أو تنافر. أما في تاريخ تطور هذا المصطلح، فإن أفلاطون هو الذي عرف هذا المصطلح لأول مرة في جمهوريته باسم 'إيرونيّا'. ثم ظهرت كلمة (Irony) في

²³³ سعيد شوقي. بناء المفارقة في الدراما الشعرية. ط1. القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع، 2001م. ص 27.

²³⁴ سيزا قاسم. المفارقة في القص العربي المعاصر. مجلة فصول. 2. (1982م) ص: 144.

الإنجليزية بعد عام 1502م. وقد بذل بعض من الأدباء جهودهم في تطويره، وفي مقدمتهم 'فريدريك شليجل' الذي طور مفهوم المفارقة الكونية.²³⁵

تتميز قصائد أحمد مطر من قصائد معاصريه بما تحتوي من المفارقات المتنوعة، ومن أهمها المفارقة اللفظية، والمفارقة الهزلية، والمفارقة التصويرية.

المفارقة اللفظية

"هي نمط كلامي أو طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مناقضا للمعنى الظاهر."²³⁶ وظف الشاعر هذا النوع من المفارقة في قصيدته 'يوسف في بئر البترول' خلال تركيبين: البيت الأسود، والبيت الأبيض. استخدم تركيب 'البيت الأسود' وقصد به بلاد العرب لوجود الكعبة بيت الله العتيق في بلادهم ولما يعرف الشاعر عن مكانتها في نفوسهم. أما 'البيت الأبيض' استخدمها الشاعر لتدل على بلاد أمريكا لأنها قصر رئيسها. وأتى الشاعر بهاتين المفارقتين ليخبر عن مدى نفوذ أمريكا وتدخلها في أمور الأوطان العربية سياسية وثقافية واقتصادية.

"وأرى حول 'البيت الأسود'

'بيتا أبيض'

يجري بثياب الإحرام

يرمي الجمرات على صدري

ويقبل خشم الأصنام

²³⁵ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

ص 58.

²³⁶ نفس المرجع، ص: 59

ويحد السيف على نحري

يوم النحر²³⁷

المفارقة الهزلية

"هي مفارقة تقوم على موقف يناقض فعله تماما، إذ يأتي الفعل مغايرا تماما للوجهة التي يجدر بالإنسان أن يقوم بها."²³⁸ استخدم الشاعر هذا النوع من المفارقة في قصيدة 'عزاء على بطاقة التهنية' حيث تظهر الأبيات أن القدس تعبر عن شكرها وامتنانها على نصر الولاة، وتهنئهم على شجاعتهم أمام أمريكا ولكن القارئ يدرك الحقيقة بعلمه ومعرفته عن الولاة. يأتي الشاعر بهذه المفارقة لهزل وليسخر منهم في خوفهم وخضوعهم لأمريكا.

"ولاة الأمر ما خنتم ولا هنتم

ولا أبد يتم اللينا

جزاكم ربنا خيرا

كفيتم أرضنا بلوى أعاديننا

وحققتم أمانينا

وهذي القدس تشكركم

ففي تنديدكم حيننا

وفي تهديدكم حيننا

سحقتم أنف أمريكا

²³⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 93.

²³⁸ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

فلم تنقل سفارتها

ولو نقلت

- معاذ الله-

لو نقلت

لضيعنا فلسطينا

ولاة الأمر

هذا النصر يكفيكم ويكفينا

.. تهانينا"²³⁹

المفارقة التصويرية

يرى علي عشري زايد أن المفارقة التصويرية تكنيك شعري يهدف به إظهار عنصر التضاد بين طرفين متقابلين، لا ينحصر هذا التناقض في جملة أو بيت كما في الطباق والمقابلة بل يشمل القصيدة بأكملها، ويرى أن التناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان ينبغي أن تتفق وتتماثل.²⁴⁰

وردت المفارقة التصويرية في قصائد أحمد مطر على صورها المتنوعة: مفارقة الأحداث، المفارقة ذات الطرفين المعاصرين، مفارقة الفجاجة، المفارقة الدرامية، مفارقة الاستخفاف بالذات، والمفارقة ذات المعطيات التراثية.

²³⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 44.

²⁴⁰ علي عشري زايد. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط 1. القاهرة: دار الفصحى للطباعة والنشر، 1978م. ص 76.

1. مفارقة الأحداث

"تقوم مفارقة الأحداث عن تعبير الضحية عن اعتمادها على المستقبل، لكن تطورا في الأحداث يقلب خططها، ويسير في خطوات تبتعد بها عن الهدف، وتكون الوسيلة التي يتجنب بها شيئا هي الوسيلة التي توصله إلى ذلك الشيء."²⁴¹

وظف الشاعر هذا النوع من المفارقة في قصيدة 'الإرهابي' حيث يتكلم عن خطوات اتخذها ليلعن على الحكام المستبدين وينجو من أعين الرقباء والوشاة. فدخل بيته وأغلق الباب الرئيسي، ثم نزل للسرداب وأغلق بابه، ثم دخل في الدولاب وأغلق الباب. ولكن حذره هذا لم ينقذه من الأبواب التي وشت به. يقول الشاعر:

دخلت بيتي خلسة من أعين الكلاب

أغلقت خلفي الباب

نزلت للسرداب

أغلقت خلفي الباب

دخلت في الدولاب

أغلقت خلفي الباب

همست همسا خافتا: (فاليسقط الأذنان)

وشت بي الأبواب/ دام اعتقالي سنة.. بتهمة الإرهاب"²⁴²

²⁴¹ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

ص 71.

²⁴² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 239.

2. المفارقة ذات الطرفين المعاصرين

في هذه المفارقة يضع الشاعر طرفين معاصرين ويأتي بعناصر هذين الطرفين ويذكر صفاتهما ليبرز التناقض بينهما.²⁴³ استخدم الشاعر هذه المفارقة في قصيدة 'الجزاء' حيث يوضح الشاعر اتجاهين في التعامل بين الحاكم والمحكوم. الصورة الأولى تحدث في بلاد الغرب، حيث إن الذي يبصق على وجه الحاكم يعاقب حسب القانون ويدفع الغرامة. والصورة الثانية في بلاد العرب، فيها أمم تنتهي بالثقافة الإسلامية ولكن لا يرى في معاملة حكامها أثر الدين، حيث إن الحاكم يفترى على المواطن التهم ويعاقبه على أساسها حتى يرى حتفه في المعتقل. يأتي الشاعر بصفاتهما وملاحظتهما ليخبر القارئ عن التناقض بينهما.

"في بلاد المشركين

يبصق المرء بوجه الحاكمين

فيجازى بالغرامة

ولدينا نحن أصحاب اليمين

يبصق المرء دما تحت أيادي المخبرين

ويرى يوم القيامة

عندما ينثر ماء الورد والهيل

²⁴³ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

- بلا إذن-

على وجه أمير المؤمنين.²⁴⁴

3. مفارقة المفاجأة

هذا النوع من المفارقة يأتي به صاحبه ليتخلى عن مكانه لساذج أو فج، يريد أن ينظر إليه على أنه غير صاحب المفارقة، رغم أنه يتصرف نيابة عنه دون علمه بالأمر.²⁴⁵ في قصيدته 'مزايا وعيوب' يوظف الشاعر أحمد مطر هذه المفارقة حيث يتخلى عن مكانه لكلب، ويأتي الشاعر بأفكاره على لسان الكلب، فيسأل الكلبُ مسؤولَ شؤون العاملين عن سبب رفض طلبه لانضمام في صفوف المخبرين مع أن له مؤهلات كافية لذلك العمل. يسخر الشاعر من المخبرين حين يجيب مسؤولُ شؤون العاملين عن سؤال الكلب ويوضح أن الكلب هو وفي وأمين فلا يليق ليعمل عمل المخبرين. يقول الشاعر:

"نبح الكلب بمسؤول شؤون العاملين

سيدي إني حزين

هاك... خذ طالع ملفي

قذر من تحت رجلي إلى ما فوق كتفي

ليس عندي أي دين

لاهت في كل حين

²⁴⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 24.

²⁴⁵ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

بارع في الشم والنبح وعقر الغافلين

بطل في سرعة العدو

خبير في اقتفاء الهاربين

فلماذا يا ترى لم يقبلوني

في صفوف المخبرين

هتف المسؤول: لكن

فيك عيبان يسينان إليهم

أنت يا هذا وفي وأمين²⁴⁶

4. المفارقة الدرامية

هذه المفارقة تأتي في الملاحم والشعر القصصي والتمثيلي. "تقوم على جهل الضحية بالموقف الذي هي فيه، وتبدو أبلغ أثرا عندما لا يكون المتلقي وحسب، بل شخص آخر في التمثيلية أو القصة على وعي بجهل الضحية."²⁴⁷ يأتي الشاعر أحمد مطر بالمفارقة الدرامية بأسلوب قصصي في قصيدة 'يحيا العدل'، ويحكي فيها عن رجل متهم اعتقله الشرطة ورجال الأمن وجعلوا يصبون عليه العذاب، وهذا المتهم جاهل عن سبب اعتقاله وتعذيبه، ورجال الأمن يعرضون أمامه بعض صور ويسألونه عنها بعد أن يعمونه، ويقصون شفتي المتهم ويطلبون منه الكلام عمن يجنده، وأخيرا يشنقونه ولكن بعد ذلك يتبين لهم أن المتهم في الحقيقة أخو المشنوق عليه، وفي

²⁴⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 184.

²⁴⁷ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

النهاية يوجد الأخ ميتا من شدة الحزن. هذه كلها من مفارقات درامية حيث إن القارئ يعرف عن ضعف المتهم عن الإجابة، وأعمال الشرطة وهي متناقضة مع أفعالهم. والشيء المدهش أن الشاعر جعل جزءا من الحقيقة مجهولا ولم يكشف عنه إلا في نهاية الشعر.²⁴⁸ يقول الشاعر:

"حبسوه

قبل أن يتموه

عذبوه

قبل أن يستجوبوه

أطفؤوا سيجارة في مقلتيه

عرضوا بعض التصاوير عليه:

قل .. لمن هذه الوجوه؟

قال: لا أبصر

.. قصوا شفتيه

طلبوا منه اعترافا

حول من قد جندوه

لم يقل شيئا

ولما عجزوا أن ينطقوه

شنقوه

²⁴⁸ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 288.

بعد شهر برؤوه

أدركوا أن الفتى

ليس هو المطلوب أصلا

بل أخوه.

ومضوا نحو الأخ الثاني

ولكن.. وجدوه

ميتا من شدة الحزن

فلم يعتقلوه²⁴⁹

5. مفارقة الاستخفاف بالذات

في مثل هذه المفارقة يلبس صاحبها قناعا ذا أثر إيجابي في هيئة تقمص شخصية،

حيث يحمل نفسه إلى المسرح في شخص امرئ جاهل، جاد، مفرط في الحماس..²⁵⁰

كما يصور الشاعر نفسه في قصيدة 'صدفة' حيث يتقمص الشاعر نفسه في

شخص رجل بسيط، يخاف السلطة ولا يتكلم شيئا بل يكتفي بالإشارة حين يرى

جاره أمامه، ويظهر الدهشة في جاره الذي رد السلام جهرا ولم يعتقل عليه. ويرى

الرجل هذا الموقف دليلا لوجود الحرية في بلده. يأتي الشاعر بهذه المفارقة ليكشف

عن كبت الحريات في بلاده. يقول الشاعر:

"شعرت هنا اليوم"

²⁴⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 70.

²⁵⁰ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 241.

بالصدمة

فعندما

رأيت جاري قادما

رفعت كفي نحوه

مسلمًا

مكتفيا بالصمت والبسمة

لأنني أعلم أن الصمت

في أوطاننا حكمة

لكنه رد قائلًا:

عليكم السلام والرحمة

ورغم هذا

لم تسجل ضده تهمة

الحمد لله على النعمة

من قال ماتت عندنا

حرية الكلمة"²⁵¹

6. المفارقة ذات المعطيات التراثية

هي تكتيك فني يقوم على إبراز التناقض بين بعض معطيات التراث وبين بعض الأوضاع

المعاصرة تأتي على أنماط ثلاثة هي: المفارقة ذات الطرف التراثي الواحد، وذات الطرفين

²⁵¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 41.

التراثين، والمفارقة المبنية على نص تراثي.²⁵² ومن نماذجها، ما يأتي به الشاعر في قصيدة 'الجاهلية' حيث صور فيها طرفين متناقضين: الأول مأخوذ من التراث والثاني من الوقت الراهن. في العصر الجاهلي كان الناس يعبدون الأصنام المصنوعة من تمر، فيأكلون منها إذا ما جاعوا، أما في العصر الراهن فجاءت الأصنام مصدرة من الغرب وهو يقصد بالزعماء العرب الذين يحقون خيرات البلاد لتنفيذ رغبة الغرب. يقول الشاعر:

"في زمان الجاهلية

كانت الأصنام من تمر

وإن جاع العباد

فلهم/ من جثة المعبود زاد

وبعصر المدنية

صارت الأصنام/ تأتينا من الغرب

ولكن.. بثياب عربية

تعبد الله على حرف/ وتدعو للجهاد

وتسب الوثنية/ وإذا ما استفحلت

تأكل من خيرات البلاد/ وتحلي بالعباد

رحم الله زمان الجاهلية"²⁵³

²⁵² كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 253.

²⁵³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 39.

الفصل الثاني

التناص

التناص أو تداخل النصوص أو النصوصية ترجمة لكلمة إنجليزية Intertextuality. في تعريف بسيط، يعرف "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه، ليتشكل نص جديد واحد متكامل".²⁵⁴

هذا المصطلح لم يتم تطويره إلا في العصر الحديث ولكن قد بدت جذورها في الشعر العربي القديم تحت مسميات شتى مثل الاقتباس وغيره. يرجع الفضل في ظهوره كمصطلح جديد إلى الباحثة البلغارية جوليا كرستيفا حيث تحدثت عنه في كتابها 'نص الرواية: مقارنة سيميائية لبنية خطابية متحوّلة' الذي نشر في عام 1970م.²⁵⁵

استخدم الشاعر أحمد مطر هذا التكنيك واستفاد منه في أشعاره. يقسم التناص في شعر أحمد مطر إلى أنواع شتى على أساس مصدرها، ومن أهمها: التناص القرآني، والتناص مع الأحاديث الشريفة، والتناص التاريخي وغيرها..

²⁵⁴ أحمد الزعيبي. التناص - نظريا وتطبيقا. ط2. عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000م. ص 11.

²⁵⁵ برونيز أحمدزاده هوج. التناص القرآني في شعر أحمد مطر ومهدي أخوان ثالث. فصلية بحوث في الأدب المقارن. 16.

(2015م) ص: 1- 22.

التناص القرآني

هذا النوع من التناص يقتبس من القرآن الكريم. استخدم أحمد مطر هذا النوع في أشعاره أكثر مما سواه، لتأثره به ولما يثق بتأثر قرائه بآيات الكتاب الحكيم. له عدة قصائد بهذا الصدد، منها قصيدة 'بلاد ما بين البحرين' حيث تحتوي عدة نماذج للتناص القرآني، يقول الشاعر:

"ولما أوى الفتية المؤمنون

إلى كهفهم

كان في الكهف من قبلهم مخبرون

ظننتم إذا أننا غافلون

كذلك ظن الذين أتوا قبلكم

فاستجبنا

ولو تعلمون

بما قد أعد لهم من قوارير

كانت قوارير منصوبة

فوقها يقعدون

ولو قد رأيتم، وثم رأيتم

مراوح سقف بها يربطون²⁵⁶

²⁵⁶ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 178.

وظف الشاعر التناص في هذا المقطع في عدة أبيات، فبدأ بقوله 'ولما أوى الفتية المؤمنون/ إلى كهفهم' الذي يشير إلى قول الله سبحانه وتعالى من سورة الكهف: "إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا".²⁵⁷ أخذ الشاعر أجزاء هذه الآية التي تتحدث عن أصحاب الكهف وهم أووا إلى الكهف واتخذه مأوى من الملك المشرك الذي يؤذيه على دينهم. ويخبر الشاعر أن ملوك العرب يؤذون رعيته ولم يتركوهم ولو فروا منهم وأووا إلى الكهوف، حيث بعثوا جواسيسهم ليدخلوا في تلك الكهوف قبل وصول المظلومين إليها ويختبئون فيها. وكذلك يوجد التناص في مواضع شتى في هذا المقطع في كل من "أننا غافلون، الذين أتوا قبلكم، ولو تعلمون، قوارير، ولو قد رأيتم وثم رأيتم" من مختلف آيات من القرآن الكريم.

يأتي الشاعر بالتناص في قصيدة 'يوسف في بئر البترول'، فيقول:

"سبع سنابل خضر من أعوامي

تذوي يابسة في كف الأمل الدامي

أرقبها في ليل القهر

تضحك صفرتها من صبري

وتموت فتحيا ألامي

يا صاحب سجني نبئني

ما رؤيا مأساتي هذي

²⁵⁷ القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية: 10

فأنا في أوطان الخير

ممنوع منذ الميلاد من الأحلام

وأنا أسقي ربي خمرا

بيدي اليمنى

ويدي اليسرى تتلقى أمر الإعدام...²⁵⁸

يأتي الشاعر بالتناص في هذه الأبيات مع الآيات من سورة يوسف التي تقص قصة يوسف عليه السلام ليجلب انتباه القارئ إلى حياة المواطنين الأبرياء في سجون الحكام المستبدين. يأتي الشاعر بفتى من خياله رمزا لآلاف من المظلومين يعيشون في سجون بلاده تحت حكم الطغاة.

تتعلق هذه الأبيات مع سورة يوسف في ثلاثة مواضع: أولا يعود قول الشاعر 'سبع سنابل خضر من أعوامي / تذوي يابسة' إلى قوله سبحانه وتعالى "وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات"²⁵⁹

وثانيا، قوله: 'يا صاحب سجني نبئني / ما رؤيا مأساتي هذا' يعود إلى قوله تعالى "ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين"²⁶⁰

²⁵⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 93.

²⁵⁹ القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: 43

²⁶⁰ القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: 36

وثالثا، قوله 'وأنا أسقي ربي خمرا' يعود إلى قوله تعالى: "يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان"²⁶¹

التناص مع الأحاديث النبوية

وقد اتجه الشاعر إلى الأحاديث النبوية واعتمد عليها في تناصه في أشعاره. استخدم الشاعر هذا النوع من التناص في قصيدة 'القضية'، ليكشف عن حكام بلده الذين يجعلون الدين وتعاليمه ستارا عن فضائهم وجورهم على شعبيهم. أورد الشاعر قول النبي (ص) 'كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته' فوضعه في قصيدته ليوضح أحوال حكام بلاده وهم يعذبون شعبيهم ويفرطون في العذاب لخوفهم من أمريكا وغيرها من الدول كما يزعم الشاعر، وهو يقول:

"زعموا أن لنا

أرضاً، وعرضاً، وحمية

وسيؤفا لا تباريها المنية

زعموا..

فالأرض زالت

ودماء العرض سالت

وولاة الأمر لا أمر لهم

خارج نص المسرحية

²⁶¹ القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية: 41

كلهم راع ومسؤول

عن التفريط في حق الرعيه

وعن الإزهاب والكبت

وتقطيع أيادي الناس

من أجل القضية!"²⁶²

في هذه الأبيات، وظف الشاعر التناص في كلماته 'كلهم راع ومسؤول/ عن التفريط في حق الرعيه' حيث أخذها من السنة النبوية، يقول النبي (ص): "كلكم راع ومسؤول عن رعيته: فالإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسؤول عن رعيته. والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتهما، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته."²⁶³

التناص التاريخي

في هذا النوع من التناص يأتي الشاعر بنصوص تاريخية خلال أبياته، وهي تناسب وتنسجم مع السياق العام للنص الشعري. يأتي الشاعر بتناص مع شخصيات من التاريخ في قصيدة 'الاختيار'، فيقول:

"غير أني في زمان الفرز

أنحاز إلى الفوز

فإن خيرت ما بين اثنتين

²⁶² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 69.

²⁶³ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري. ط 1. دمشق: دار ابن كثير، 2002م. ص 580.

أن أغني مترفا عند يزيد

أو أصلي جائعا خلف الحسين

سأصلي جائعا خلف الحسين²⁶⁴

في هذه الأبيات يشرح الشاعر عن قيامه مع الشعب المعذب دون أن ينحاز إلى من عنده الجاه والمال والحكم. فيأتي بالتناسل مع شخصيتين من التاريخ ليوضح مدى اهتمامه بشعبه الذي يعاني أشد المعاناة من الحكام المستبدين الجائرين. وظف التناسل في علمين 'يزيد' و'الحسين' حيث يعرف القارئ هذين الرجلين من التاريخ الإسلامي والعربي. أما يزيد بن معاوية فهو الخليفة الأموي الذي له الحكم والجيش والموكب، وأما الحسين فهو ابن علي بن أبي طالب وليس معه إلا الحق والشعب المظلوم. بهذا التناسل يكشف الشاعر عن التزامه مع شعبه، دون أن يهتم بأموال الحكام ولا المناصب التي يغرون بها أشخاصا مثله.

التناسل مع التراث الشعبي

في هذا النوع من التناسل يأتي الشاعر بقصص أو حكايات شائعة في التراث الشعبي ما يوافق لسياقه. استخدم الشاعر أحمد مطر هذا التناسل في أشعاره ليسخر من حكام بلاده، كما أورد - مثلا- في قصيدته 'ليلة' يقول الشاعر فيها:

"لشهرزاد قصة

تبدأ في الختام

في الليلة الأولى صحت

وشهريار نام

²⁶⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 125.

لم تكترث لبعلمها

ظلت طوال ليلها

تكذب بانتظام

كان الكلام ساحرا

أرقه الكلام

حاول رد نومه

لم يستطع فقام

وصاح يا غلام

خذها لبيت أهلها

لا نفع لي بمثلها

إن ابنة الحرام

تكذب كذبا صادقا

يبقي الخيال مطلقا... ويحبس المنام

قلقت من قلقائها

أريد أن أنام

خذها وضع مكانها

وزارة الإعلام²⁶⁵

²⁶⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 243.

استحضر الشاعر شخصية شهرزاد وزوجها شهريار من التراث الشعبي في هذه القصيدة، لانسجامها مع نضه الشعري. ظلت شهرزاد تقص قصصها الطريفة ليال عديدة لتسحر زوجها شهريار ولتنجو من القتل. يرى الشاعر من شخصيتها معادلاً وحيداً لوسائل الإعلام العربية التي اعتادت أن تنشر الكذب والتدليس في عقول الشعب. وكانت لشهرزاد غاية في نسجها القصصي وهي النجاة من القتل، فإن وسائل الإعلام العربية المعاصرة للشاعر غايتها خدمة الحكام فحسب.²⁶⁶

التناص مع الشعر العربي

اتخذ الشاعر التناص مع الشعر العربي القديم والحديث وسيلة لإثارة أذهان السامعين على أساس تعمقه في كليهما. فقد التجأ إلى التناص مع كلا النوعين من الشعر على وجه سواء. يوجد نماذج كثيرة لذلك في شعره. يقول الشاعر في قصيدة 'قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن':

"خفف الوطاء قليلاً

فأديم الأرض من هذي العساكر

لا تمهاجر"²⁶⁷

في هذه القصيدة يتكلم الشاعر عن انتشار المخبرين في وطنه بأجمعه، فيخاطب المواطن الذي يريد الفرار من قبضة الحكام، ويعظه- سخرياً من المخبرين- أن ينتبه وأن يذكر حين يخطو خطوة أن المخبرين والمراقبين مختبئون خلال رمال الصحراء. يأتي الشاعر بالتناص في

²⁶⁶ هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.

ص 53.

²⁶⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 49.

كلماته 'خفف الوطاء قليلا/ فأديم الأرض من هذي العساكر' مع بيت أبي العلاء المعري المشهور في قصيدته 'سقط الزند'، حيث يقول:

"خفف الوطاء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد"²⁶⁸

وقد وظف الشاعر التناسل مع الشعر العربي الحديث أيضا، ومن نماذج هذا التناسل ما قال الشاعر في قصيدته 'وقفة تاريخية':

"حكامنا طبول

جيوشنا طبول

شعوبنا طبول

وسائل الإعلام في أوطاننا طبول"²⁶⁹

في هذه الأبيات يسخر الشاعر من حكام بلده وجيشه وشعبه ووسائل الإعلام في بلاده، ويوضح كلها طبول. في هذه السطور تناسل مع أسطر نزار قباني حيث يتكرر الشاعر بلفظ طبول في مواطن كثيرة كما تكرر نزار قباني كلمة 'طبلّة'، حيث يقول:

"الحاكم يضرب بالطبلّة

وجميع وزارات الإعلام تدق على ذات الطبلّة

وجميع وكالات الأنباء تضخم إيقاع الطبلّة

لا يوجد شيء في الموسيقى أبشع من صوت الدولة"²⁷⁰

²⁶⁸ أبو العلاء المعري. الديوان. 13 مارس 2023م. <https://www.aldiwan.net/poem23625.html>

²⁶⁹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 158.

²⁷⁰ نزار قباني. عزف منفرد على الطبلّة. 10 مارس 2023. <https://www.nizariat.com/poetry.php?id=248>

التناص مع الخطب

في بعض الأشعار أتى الشاعر بالتناص مع خطب مشهورة في التاريخ، كما أتى به في قصيدة 'طريق السلامة' بقول فيها:

أين الرأس، و'طلاع الثنايا'

وضع اليوم العمامة

وحده الإنسان، والكل مطايا

لا تقل شيئاً... ولا تسكت أمامه

إن في النطق الندامة

إن في الصمت الندامة"²⁷¹

يأتي الشاعر بالتناص في هذه القصيدة مع خطبة حجاج بن يوسف ليشرح مدى خوف المواطنين في بلاده الذي يحكمه المستبدون. في القصيدة كلمات مثل: 'أين الرأس، وطلاع الثنايا' لها تعالق مع خطبة حجاج بن يوسف الذي ألقاها في مسجد بالكوفة، ليلقي الرعبة في قلوب أهل الكوفة فقال: "إني أرى رؤوساً قد أينعت، وحن قفافها وإني لصاحبها"، وأنشد:

"أنا ابن الجلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني"²⁷²

²⁷¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 103.

²⁷² أحمد بن محمد ابن عبد ربه. العقد الفريد. ج 2. ط 1. بيروت: دار الفكر، 2019م. ص 374.

الفصل الرابع

الرموز

يعتبر الأديب الألماني 'جوته' (Gothe) أول من حدد مفهوم الرمز بطريقة أدبية وحديثة، حيث وضح أنه فوجئ بمشاعر خاصة إزاء بعض الأشياء خلال إحدى زيارته لفرانكفورت، ووصف تلك الأشياء أنها 'رمزية'. ويرى أن الرمز امتزاج للذات بالموضوع، والفنان بالطبيعة. ثم طور فكرته الفيلسوف الألماني 'كانت' (Kant) ويذهب إلى أن الرمز يصبح طبيعة منقطعة مستقلة بحد ذاتها بعد انتزاعه من الواقع. وبعده جاء دور الشاعر الإنجليزي 'كولدرج' (Coleridge) الذي أسس فكرته على أساس نظرية تفرقة الخيال والوهم.²⁷³

كان من عادة شعراء العرب في العصر الحديث استخدام الرموز في أشعارهم لتكون فكرتهم واضحة التعبير أمام المتلقين. لقد استغل الشاعر أحمد مطر هذه الوسيلة في قصائده لينتقد حكام بلده وأحوال وطنه السياسية والاجتماعية، ولكن الشاعر لم يحاول التعالي على لغة الجماهير، وكره أن يقع في دائرة الغموض كما يرى 'كمال أحمد غنيم'.²⁷⁴ فالتجأ إلى توظيف الرمز في قصائده من أجل الإيحاء بأعمق الدلالات لمعنى يريده، محاولاً ليصل بالمتلقي إلى أعماق المعنى، بدون صعب في إدراك هذا الرمز.²⁷⁵ وظف الشاعر رموزاً متنوعة من النباتات والحيوانات والأشخاص حسب سياقه الشعري. وكان قد ابتكر الرموز ابتكاراً

²⁷³ محمد فتوح أحمد. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر. ط3. القاهرة: دار المعارف، 1984م. ص37.

²⁷⁴ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص159.

²⁷⁵ ياسر عماد مهدي. الرمز السياسي في شعر أحمد مطر. مجلة الجامعة العراقية. 85. (2023م) ص245.

أو يقتلعه من منبته الأساس فيفرغه جزئياً أو كلياً من شحنته الأولى أو ميراثه الأصلي من الدلالة ثم يشحنه بشحنة شخصية أو مدلول ذاتي²⁷⁶

الرموز النباتية

جسد أحمد مطر رموزاً نباتية كثيرة في شعره ليصور الواقع السياسي لوطنه الذي يهيمن فيه الحاكم المستبد على شعبه، والذي يعاني فيه الشعب من الفقر والجور والقهر والاعتقال والاعتقال. فأورد من الورد والزهر والنخل والسنبلة والغابة والشجرة وغيرها من النباتات والأشجار، مثلما أتى به في قصيدة 'إضراب' قائلاً:

"الورد في البستان..."

ممالك مترفة طرية الجدران

تيجانها تسبح في برد الندى

والنور والعطور

في ساعة البكور

وتستوي كسلى على عروشها

وتحت ظلمة الثرى/ والبيؤس والهوان

تسافر الجذور في أحزانها

كي تضحك التيجان"²⁷⁷

²⁷⁶ رحاب لفته حمود الدهلكي. الرمز في شعر أحمد مطر. مجلة كلية التربية الأساسية. 83. (2014م) ص 110.

²⁷⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 57.

في هذه الأبيات أتى أحمد مطر برمز من الورد، لما وجد فيه تشابه مع حكام بلاده الذين يعيشون بالسعادة والترف ويتلفون أموال الوطن بالإسراف والتبذير. فأورد الشاعر بكلمات تدل على صفات الحاكم دون الورد مثل تيجان، وعروش وغيرها، فوصف بها الورد ليوحى بها إلى هدف يهدفه. ثم يرمز بالجدور إلى المواطنين العرب الذين يستميتون في توفير قوتهم وقوت عيالهم، وأتى بكلمات تدل على صفات الشعب مثل البؤس والهوان وأحزان، ووصف بها الجدور ليحمل القارئ إلى دلالة يفضل بها الشاعر. يحكي الشاعر أن الجدور تستميت وتعاني البؤس والهوان والأحزان من أجل سعادة الورد المتوج. ثم يستطرد الشاعر قائلاً:

"الورد في البستان

أصبح.. ثم كان

في غفلة تهدلت رؤوسه

وخرت السيقان

إلى الثرى

ثم هوت من فوقها التيجان

مرت فراشتان

ورددت إحداهما:

قد أعلنت إضرابها الجدور²⁷⁸

²⁷⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 57.

في هذه الأبيات يصل الشاعر إلى الهدف الأساسي من توظيفه هذين الرمزين، فيخبر شعبه عن نجاح الإضراب عن العمل بدلا من إطاعة الطغاة، حيث يوضح أن الجذور أعلنت إضرابها حين استطالت هوانها وبؤسها، فخرت سيقان الورد وهوت التيجان في الأرض. هكذا يتضح أن الشاعر أحمد مطر حمل أبعادا وطنية في أطواء رموزه النباتية في قصائده. ويهدف أن يكشف عن القضايا الوطنية والإنسانية حوله، ورأى فيها ذاتا تنبض بالحياة وتتجاوب معه، فيحاول الشاعر أن يكشف بها عن عالمه الداخلي.²⁷⁹

الرموز الحيوانية

لقد أخذ الشاعر الرموز من الحيوانات أيضا واستخدمها ليصور واقع وطنه وشعبه. من الرموز الحيوانية التي أكثر الشاعر ذكرها في قصائده الكلب. كما يقول الشاعر في قصيدة 'السيدة والكلب' في أسلوب حوار بينه وبين امرأة أجنبية:

- يا سيدتي هذا ظلم

كلب يتمتع باللحم

وشعوب لا تجد العظم

كلب يتحمم بالشامبو..

وشعوب تسبح في الدم

كلب في حضنك يرتاح

يمتص عصير التفاح

²⁷⁹ رحاب لفته حمود الدهلكي. الرمز في شعر أحمد مطر. مجلة كلية التربية الأساسية. 83. (2014م) ص 114.

وينال القبلة بالفم

وشعوب مثل الأشباح

تقتات بقايا الأرواح

وتنام بأثناء النوم

Who are they -

- قومي.

Don't mention them-

قومك هم أولى بالذم

وبحمل الذلة والضميم

- هذا ظلم يا سيدتي

- أين الظلم؟

ومن المتلبس بالجرم

أنا دللت الكلب، ولكن هم

أعطوه مقاليد الحكم"²⁸⁰

في هذه القصيدة يحاور الشاعر مع امرأة من بلاد أجنبية، تلاعب كلمها وتطعمه وتسقيه وتغسله بمواد غالية الثمن، فيشكو إليها ما يعانیه شعبه وعن مأكله الرخيصة. استخدم الشاعر أحمد مطر رمزا من الكلب ليوضح أحوال شعبه تحت حكم المستبدین حيث یحرم المواطن من الحوائج الأساسية. فأشار إلى الأنعم الذي ینعم بها الكلب في أيدي امرأة أجنبية

²⁸⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 148.

من أكل اللحوم، والتحمم بالشامبو، وشرب عصير التفاح، والقبلة بالفم ليوازن بها ما يصب على شعبه من الهوان والمظالم والجور من قبل حكامه. ثم يستخدم الشاعر نفس الرمز على لسان تلك المرأة الأجنبية ليسخر من شعبه الذي لا يثور ولا يغور على هذه الذلة، فتوضح أن العار على قوم الشاعر لأنهم أعطوا الكلب مقاليد الحكم إذ دلت المرأة الكلب. وقد استخدم الشاعر رموزا غيره مثل البقر والثور والخيول.

الرموز من الجماد

يوجد في أشعار أحمد مطر رموز من الظواهر الطبيعية الجامدة مثل البحر، والطين، والحجارة، والكواكب، والقمر، والنار، والساحل، والنهر، والنهار، والليل وغيرها ليصور صراعه وصراع شعبه مع الحكام الجائرين. مثلما قال في قصيدة 'قسوة':

"حجر يهمس في سمع حجر

أنت قاس يا أخي

لم تبتسم عن عشبة، يوما

ولا رقت حناياك

لأشواق المطر

ضحكة الشمس

على وجهك مرت

وعويل الرياح

في سمعك مر

دون أن يبقى لشيء منهما

فيك أثر

لا أسأريك بشت للمسرات

ولا قلبك للحزن انفطر

أنت ماذا؟

كن طري القلب

كن سمحا، رقيقا

مثلما أي حجر

لا تكن مثل سلاطين البشر²⁸¹

في هذه القصيدة يأتي الشاعر رمزا من الحجر ليصور قسوة حكام بلاده. والقصيدة في أسلوب حوار بين حجرين، حيث يلتقي حجر حجرا قاسيا الذي هو لم يبتسم ولم يفتح قلبه لمطر ولا شمس ولا ربح طوال حياته، ولم يسر ولم يحزن في عيشه، فيعظه أن يكون سمحا رقيق القلب، وألا يكون مثل السلاطين من بني البشر. فأضفى الشاعر صفات الإنسان على الحجر، وحملها من حالتها الجامدة إلى حالة الحياة ليسخر من الحكام المستبدين.

الرموز بالعلامات

استخدم الشاعر في بعض أشعاره علامات الترقيم ليعبر إحساسه. فقد قصر في بعض سطورها على العلامات دون الألفاظ والتراكيب. وهذه العلامات لم تجعل الشعر صعبة الفهم بل تعمل في تيسير فهمه وهضمه مثلما أتى بها في قصيدته 'المتكتم' يقول فيه:

²⁸¹ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 293.

"ألقيت خطابا في النادي

وتلوت قصائد في المقهى

ونقدت السلطة في المطعم

هل تحسب أنا لا نعلم؟!

-

في يوم كذا حاورت مديعا غربيا

وعرضت بتصريح مبهم

لغباوة قائدنا الملممه

هل تحسب أنا لا نعلم؟!

-"

هكذا تكررت هذه العلامات أربع مرات في القصيدة، ويفهم القارئ معنى هذه النقط واضحا

حين يصل إلى الأبيات الأخيرة:

"لا تتكلم؟

افعل ما تهوى.. لجهنم.

شئق الأبكم" ²⁸²

أتى الشاعر بهذه النقط ليبدل على عدم الكلام من جهة المخاطب حين يخاطبه الشرطي أو الحاكم. يصور الشاعر عن شئق رجل أبكم على اتهام أنه ألقى خطابا و تلا قصائد ونقد السلطة وحاور مع مديع غربي وغيرها من التهم. وفي غرفة التحكيم لم يتكلم الرجل، لأنه

²⁸² أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 212.

أبكم لا يستطيع القول. أتى الشاعر هذه القصيدة ليسخر من الحكام والقضاة في بلده يفترسون المواطن بتهم لا أساس له.

الرموز الإنسانية

اتخذ الشاعر رموزا ذات دلالات إنسانية في قصائده ليحارب ضد الاستعمار والاستبداد في بلاده، ويؤيد شعبه في معاناته من الحكام والولاة. فقد اتخذ الرموز بأسماء الأشخاص أو بالكنى والألقاب من اختياره ثم شحنها صفات من خياره حسب السياق، ومن أمثلة هذه الرموز ما قال الشاعر في قصيدة 'أصفار':

"قرأت في الجرائد

أن 'أبا العوائد'

يبحث عن قريحة تنبح بالإيجار

تخرج ألفي أسد من ثقب أنف الفار

وتحصد الثلج من المواقد

ضحكت من غبائه.."²⁸³

استخدم الشاعر كلمة 'أبا العوائد' رمزا لحكام بلده الذين ينهمكون في الضلالة والفواحش ولكنهم يحبون أن يكون لهم صيت حسن ويريدون أن ينشروا تقارير ومقالات وأشعارا عنهم في الجرائد والمجلات بإنفاق المال. يوضح الشاعر أن أبا العوائد في حاجة إلى من يمدحه ويطريه بدون خجل مقابل أجر يعطيه سخيا، فنشر إعلانا في الجرائد ليأتي إليه من له

²⁸³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 26.

المهارات والمؤهلات الكافية في تحسين وجه 'أبي العوائد'. ذكر الشاعر كنية 'أبا العوائد' في هذه القصيدة رمزا يشير إلى ميل الحكام المستبدين في جذب الأدباء والكتاب ووكالات الأنباء إلى صفوفهم.

الفصل الرابع

أساليب التعبير

الأسلوب في اللغة الطريق، وقد يطلق على الفن. إذا قيل: أخذ فلان في أساليب من القول يعني: أفانين منه.²⁸⁴ أما في الاصطلاح فهو نهج خاص في الكتابة والتعبير عن الأفكار، كما يقال: أسلوب ابن المقفع.²⁸⁵ اتخذ الشاعر أحمد مطر أساليب شتى في قصائده لتكون أكثر فاعلية في نفوس السامعين، ومن أهمها: الحوار، والحكاية، والتمثيل.

الأسلوب الحوارى

يعد الحوار من أهم وسائل السرد والتمثيل، وقد يستخدم في الشعر كوسيلة تعبيرية. فقد أوردته الشعر القديم بعد ألفاظ مثل قال، وقالت، وقلت وغيرها، ولكن الشاعر المعاصر اتخذ الحوار بوصفه وسيلة تحقق الدرامية في قصيدته.²⁸⁶

استخدم الشاعر أحمد مطر في قصائده نوعين من الحوار: الحوار الخارجى والحوارى الداخلى.

²⁸⁴ ابن منظور. لسان العرب. ج. 1. ط. 3. بيروت: دار صادر، 1993م. ص 173.

²⁸⁵ معجم المعاني. 15 مارس 2023م. تعريف و شرح و معنى أسلوب بالعربى فى معاجم اللغة العربية معجم المعانى الجامع، المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصر، الرائد، لسان العرب، القاموس المحيط - معجم عربى عربى صفحة 1 (almany.com)

²⁸⁶ معتز قصى ياسين. مستويات بناء الحوار فى شعر أحمد مطر. مجلة دراسات البصرة. 21 (2016م) ص: 255.

1. الحوار الخارجي

"هو أن يتكلم الشاعر مباشرة إلى متلق مباشر ويتبادلان الكلام بينهما دون تدخل الراوي." ²⁸⁷ يستخدم الشاعر في هذا النوع من الحوار ألفاظاً مثل: قال، وقلت، وسألت، وأجبت... وغيرها. يوجد هذه الحوارات بغزارة في لافتات أحمد مطر. يأتي هذا الحوار بين طرفين من الشاعر والمتلقي مثل قصيدة 'أوصاف ناقصة' ²⁸⁸ أو المتلقي وشخصية أتى بها الشاعر لغاية يهدفها مثل قصيدة 'المفتري عليه' ²⁸⁹ أو بين شخصيتين أتى بهما الشاعر لغاية يهدفها مثلما قال الشاعر في قصيدة 'أعياد':

"قال الراوي:

للناس ثلاثة أعياد

عيد الفطر،

وعيد الأضحى،

والثالث عيد الميلاد.

يأتي الفطر وراء الصوم

ويأتي الأضحى بعد الرجم

ولكن الميلاد سيأتي

²⁸⁷ سعيد بقطين. تحليل الخطاب الروائي. ط3. بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م،

ص197.

²⁸⁸ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص183.

²⁸⁹ نفس المرجع، ص: 256

ساعة إعدام الجلاد

قيل له: في أي بلاد

قال الراوي: من تونس حتى تطوان

من صنعاء إلى عمان

من مكة حتى بغداد

قتل الراوي

لكن الراوي يا موتى

علمكم سر الميلاد²⁹⁰

في هذه القصيدة يعتمد الشاعر على أسلوب الحوار ويهدف بها إخبار المتلقي عن جور حكام بلاده وعن الفوضى التي يعانها شعبه تحت حكم المستبدين. فأتى بشخصيتين أحدهما 'الراوي' الذي يتكلم عن أعياد بلاده، فيقول أن الأعياد هي ثلاثة عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الميلاد. ثم يبين أن عيد الفطر يأتي بعد الصوم، وعيد الأضحى في موسم الحج، أما عيد الميلاد فيأتي حينما يموت الجلاد. فسأله من في الطرف الآخر بدهشته عن بلده فأخبره أنه من الوطن العربي.

2. الحوار الداخلي

في هذا النوع من الحوار يخاطب الشاعر نفسه بدلا من إنسان غيره، وينبع الحدث من ذات الشاعر ولم يعد من الخارج.²⁹¹ يكون فيه صوتان لشخص واحد، أحدهما

²⁹⁰ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 238.

²⁹¹ معتز قصي ياسين. مستويات بناء الحوار في شعر أحمد مطر. مجلة دراسات البصرة. 21 (2016م) ص: 268.

صوته الذي يتوجه به إلى الآخرين، والآخر صوته الداخلي الذي لا يسمعه إلا هو.²⁹²

لقد أورد الشاعر أحمد مطر الحوار الداخلي أي المونولوج في قصائده، مثل قصيدة

'حوار على باب المنفى' يقول فيها:

"لماذا الشعر يا مطر؟

أتسألني

لماذا يبزغ القمر؟

لماذا يهطل المطر؟

لماذا العطر ينتشر؟

أتسألني.. لماذا ينزل القدر؟"²⁹³

في هذه القصيدة يدير الشاعر حواراً ذاتياً حيث يتوجه إلى ذاته بشكل مباشر.

فيتكلم عن فوائده شعره على أنه يجيب للسؤال: لماذا الشعر يا مطر؟. فإن الإجابات

كلها تؤكد أن شعره يأتي من الطبيعة مثل طلوع القمر ونزول المطر وانتشار العطر.

أسلوب القصص والتمثيل

اعتمد الشاعر أحمد مطر على أسلوب القصص القصيرة الحديثة ليصور الواقع السياسي

في الوطن العربي، فقد تأثر منها حيث استخدمها في أشعاره لغتها وأسلوبها وعناصرها. فأجاد

في صياغة الشخصيات والأحداث والحبكة والحل. فقصيدته 'الثور والحظيرة' خير مثال

لها، يقول فيها:

²⁹² محمود عبد الوهاب. الحوار في الخطاب المسرحي. مجلة الموقف الثقافي. 10 (1997م) ص: 52.

²⁹³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 99.

"الثور فر من حظيرة البقر"

الثور فر

فثارت العجول في الحظيرة

تبكي فرار قائد المسيرة

وشكلت على الأثر

محكمة ومؤتمر

فقائل قال: قضاء وقدر

وقائل: لقد كفر

وقائل: إلى سقر

وبعضهم قال: امنحوه فرصة أخيرة

لعله يعود للحظيرة

وفي ختام المؤتمر

تقاسموا مربطه.. وجمدوا شعيرة

وبعد عام، وقعت حادثة مثيرة

لم يرجع الثور

ولكن

ذهبت وراءه الحظيرة²⁹⁴

²⁹⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 21.

يأتي الشاعر في هذه القصيدة قصة رمزية ليسخر من رؤساء العالم العربي ومعالجتهم قضية فلسطين حيث يحاول أن يصور موقف أنور السادات الرئيس المصري السابق أعماله في التطبيع مع إسرائيل. لقد نجح الشاعر في إتيانه عناصر القصة القصيرة في هذه القصيدة بأحسن وجه، حيث بدأ بالمشكلة وجعل المتلقي يتتبع بها مع تطور الأحداث حتى يصل إلى الحل في نهاية القصيدة. تبدأ القصيدة بذكر خيانة الثور، فيثور العجول عليه. فيجتمع رؤساء الدول في مؤتمر فيتخذون القرار بتقسيم مربطه وتجميد شعيره. ثم حين يصل المتلقي إلى نهاية القصيدة يفاجئه الشاعر بإخباره أن الثور لم يعد، ولكن الحظيرة في العام التالي ذهبت وراء الثور.

وقد يلجأ الشاعر إلى أسلوب التمثيل أحيانا، فيصور المشاهد المختلفة في أبياته حتى يتبين للمتلقي الهدف الأساسي من الشعر بوضوح كأنه يشاهد الأحداث بعينه من مسرح، ومن خير مثاله ما ورد في قصيدة 'عائد من المنتجع' يقول فيها:

"حين أتى الحمار من مباحث السلطان

كان يسير مائلا.. كخط ماجلان

الرأس في إنجلترا

البطن في تنزانيا

الذيل في اليابان

خيلا 'أبا أتان'

²⁹⁵ أتقصدونني

نعم.. مالك كالسكران

لا شيء²⁹⁶ بالمرّة.. يبدو أنني نعثان²⁹⁷

هل كان للنعاس أن يهدم الأسنان

أو يعقد اللسان

قل عذوبك..

مطلقا

كل الذي يقال عن قثوتهم²⁹⁸

بهتان/ بشرك الرحمن

لكننا في قلق

قد دخل الحصان منذ أشهر

ولم يزل هناك حتى الآن

ماذا سيجري أو جرى

له هناك يا ترى

لم يجر شيء²⁹⁹ أبدا

كونوا على اطمئنان

²⁹⁵ أتقصدونني،

²⁹⁶ لا شيء

²⁹⁷ نعثان

²⁹⁸ قسوتهم

²⁹⁹ شيء

فأولا يتقبل³⁰⁰ الداخِل بالأحضان

وثانيا يثأل³⁰¹ عن تهمته بمنتهى الحنان

وثالثا:

أنا هو الحثان³⁰² „ 303

يأتي الشاعر مشهدا مأساويا أمام المتلقي كمسرحية بطلها الحصان. تبدأ القصيدة بتصوير خروج حمار من معتقل السلطان، فيسأله الذين اجتمعوا حوله مدهشين من سيره المائل، عن أحواله بقوله: 'خيرا أبا أتان' و هل أنت سكران؟. فيجيبهم بعد أن تأكد أنهم يوجهون السؤال إليه: لا شيء. ثم تتطور الأحداث ويجري الحوار بين الحمار وغيره عن مكثه في السجن. وفي نهاية القصيدة يسألون عن حصان أدخل إلى المبحث قبل أشهر، هل رآه منه؟ وماذا يجري له؟. فكانت إجابة الحمار تكشف أنه هو ذلك الحصان. يأتي الشاعر بكلمات مثل أتقثدونني، ولا شيء.. محرفا من مخرجها ليصور تأثير التعذيب الشديد الذي صب على الحصان.

في هذا الشعر يصور الشاعر أحمد مطر معاناة شعبه تحت حكم المستبدين الذين يعذبون الأبرياء أشد العذاب على تهم تافهة. يصور الشاعر عن حياة الناس وتحملهم على شدة عقوبات السلطان حتى يكادون لا يعرفون بعد خروجهم منه لأثر العذاب، حيث يدعي أن الحصان الذي دخل السجن قبل أشهر وتعرض للمظالم والتعذيب حتى ظنه المشاهدون

³⁰⁰ يستقبل

³⁰¹ يسأل

³⁰² الحصان

³⁰³ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 155.

حمارا، معقد اللسان، يمشي سكرانا. ولم يفهموا أنه هو الحصان إلا بعد أن وضحها الحصان نفسه في كلامه.

أسلوب الوصية

قد يظهر الشاعر في بعض قصائده في زي واعظ أو مرشد، يعظ الشعب والمواطنين والسلطات وغيرهم، فيأتي بألفاظ ملائمة للوعظ والوصية. ربما يكون قصده منها خلاف ما يقوله، فيؤديه على أسس المفارقات. مثلما وعظ الشاعر المتلقي في قصيدة 'الوصايا'.³⁰⁴ فكل النصائح في هذه القصيدة لا يطلب الشاعر أن يستمسك المتلقي بها، بل ليخبره عن خيانات السلطات على شعبه وتعذيبه عليه، وليعبر عن سخريته منها. وقد يأتي الشاعر بالوصايا على ألسن الآخرين من الناس والحيوان كما قال في قصيدة 'وصايا البغل المستنير':

"يا فتى .. أنت غبي

حكمة الله، لأمر ما، أرادتك غبيا

فاقبل النصح

تكن بالنصح مرضيا رضيا

أنت إن لم تستفد منه فلن تخسر شيئا.

يا فتى من أجل أن تحمل أثقال الورى

صيرك الله قويا

يا فتى فاحمل لهم أثقالهم ما دمت حيا

³⁰⁴ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 94-95.

واستعد من عقدة النقص

فلا تركل ضعيفا

حين تلقاه ذكيا

يا فتى احفظ وصاياي

تعش بغلا،

والإ

ربما يمسحك الله.. رئيسا عربيا"³⁰⁵

أسلوب اللغز

وقد لجأ الشاعر في بعض قصائده إلى عرض اللغز ليوصل فكرته إلى المتلقي كجواب هذا اللغز، وتبين الفكرة غالبا في نهاية القصيدة. فقد أتى الشاعر بتساؤلات عن شيء غامض "في أسلوب مشابه لأسلوب الألغاز والأحاجي، ويضمن كلماته إشارات متراوحة بين الغموض والوضوح يستطيع أن يدركها المتلقي وأن يستخلص منها ما يرمي إليه الشاعر."³⁰⁶ ومن أمثلة هذا الأسلوب قصيدته 'اللغز'، يقول فيها:

"قالت أمي مرة

يا أولادي

عندي لغز

من منكم يكشف لي سره؟

³⁰⁵ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 199.

³⁰⁶ كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م. ص 183.

(تابوت قشرته حلوى

ساكنه خشب

والقشرة

زاد للرائح والغادي)

قالت أختي: التمره

حضنتها أمي ضاحكة

لكني خنقتني العبره

قلت لها:

بل تلك بلادي!"³⁰⁷

³⁰⁷ أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م. ص 16.

خاتمة البحث

يعد أحمد مطر من كبار الشعراء السياسيين المعاصرين. فقد تمكن أن يجعل الشعر سلاحاً سياسياً متميزاً. كان منذ نشأته الأولى عاين مصائب شعبه تحت حكم المستعمرين والمستبدين، وقد تعرض نفسه لجور الحكام والولاة حتى ثار ضدهم أجمعين. فحارهم الشاعر بأبيات ساخرة شديد الوقع ومر المذاق. ليس للشاعر انتماء إلى حزب من الأحزاب السياسية ولا إلى اتجاه من اتجاهاتها، وإنما انتماءه للشعب لا غير. نجح الشاعر في تصوير أفكاره وعواطفه خلال سطورهِ وغرسها في نفوس الشعب العربي. فقد تأثر الشعبُ العربي بلافتات أحمد مطر مباشرة وغير مباشرة.

يستنتج البحث النقاط التالية:

1. ظهرت ملامح الشعر السياسي في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وفقاً على متطلبات المجتمع.
2. وجود الأحزاب السياسية ومعاركها الشعرية أدت إلى ازدهار الشعر السياسي في العصرين الأموي والعباسي.
3. لعبت القضية الفلسطينية والنضال ضد الاحتلال دوراً حاسماً في تنشيط الشعر السياسي في العصر الحديث.
4. عالج الشعر السياسي قضايا سياسية مختلفة مثل: الاستبداد وعدم الحرية والفوضى وغيرها في العصر الراهن، ونشط أيام الثورة الياسمينية.

5. البيئة التي ترعرع فيها الشاعر أحمد مطر أثرت في تصيغ أحيته وإبداعاته.
6. إن للاضطهاد السياسي التي واجهها الشاعر من قبل النظام ولحياته في المنفى أثر بالغ في تكوين شخصيته وتجربته الشعرية.
7. تلقت لافتات أحمد مطر قبولا واسعا في نفوس الشعب العربي وغرست بذور الثورة ضد الاستبداد السائد في البلدان العربية.
8. مال الشاعر إلى العزلة التامة بعد اغتيال صديقه ناجي العلي، فابتعد حتى من وسائل الإعلام.
9. توجد حسابات ومجموعات عديدة في الوسائط الاجتماعية باسمه أو باسم اللافتات تناقش عن قضايا الحرية والديمقراطية رغم أنه أنكر وجود أي حساب له في الوسائط الاجتماعية.
10. آخر ما نشرت من اللافتات ما نشر الصحفي فائق منيف في مدونته بعد مقابلته مع الشاعر عام 2015م. ولكن توجد عدة أشعار مزيفة ومنسوبة إليه في الوسائط الاجتماعية.
11. تعتبر قصيدته 'فرعون ذو الأوتاد' آخر ما نشر له في الجرائد والمجلات. وذلك خلال أيام الربيع العربي.
12. نجح الشاعر في توعية متلقيه عن مساوئ الاستبداد، و محاسن الديمقراطية، وفي وصف معاناة الشعب تحت حكم المستبدين.
13. نجح في تصوير الأعباء التي حملها الحكام المستبدون على الشعب العربي من ضرائب مختلفة، ليدعموا بها الحالة الاقتصادية المتدنية بتبذيرهم.

14. يكشف أن الحكام يخافون الشعب يقظته وثورته، فبذلك يصبون أنواعا من العذاب عليه.

15. أقنع الشاعر قراءه عن معاناة شعبه من عدم الحرية، ولا سيما من حرية التعبير. ونجح في تصوير تلك الحالة التي تستمر في بلده منذ القرون تصويرا دقيقا.

16. يصور الشاعر الفوضى الذي عم بلاده تصويرا دقيقا، ويكشف عن دور رجال الشرطة والجند والقانون في انتشار الفوضى والفساد تحت حكم المستبدين.

17. يكشف الشاعر عن استمرار الاحتلال الأجنبي في البلدان العربية حتى في الأيام الراهنة، وأن الحكام المستبدون هم الذين يجلبونهم إلى بلادهم لاحتفاظ بعروشهم.

18. يكشف الشاعر عن دور أمريكا وراء كل حادثة وكارثة تحل في الوطن العربي، وأمريكا تنظر إلى الوطن العربي كسوق لأسلحتها.

19. يكشف الشاعر عن عدم إخلاص رؤساء العرب في إيجاد الحل لمصائب الفلسطينيين. ويركز أشعاره على انتقاد قادة العرب أكثر من تعداد مآسي

الفلسطينيين. ويدعي الشاعر أن رؤساء العرب ينافقون في القضية خوفا من أمريكا.

20. عبر الشاعر عن قلقه وسخريته من الرئيس المصري السابق أنور السادات من زيارته إسرائيل وتوقيع في اتفاقية كامب ديفيد سنة 1979م، وعن تساهل رؤساء العرب في معارضة موقفه.

21. يهجو الشاعر الشعب العربي من أجل صماته ضد الاستبداد والفوضى. ويدعي أن

الشعب العربي يعاقب على أنه مهد الطريق للاستبداد. فيبدي الشاعر استياءه ويعتبر هويته العربية عارا وعذابا عليه.

22. يعرب الشاعر عن قلقه من اجتناب الشعراء والأدباء من قضايا الشعب ومصائبه خوفاً من السلطات، ويوضح أن من المسؤوليات الأولية للأدباء تعبير آلام شعبيهم وأحلامه تعبيراً صادقاً بلا خوف.

23. يعرب الشاعر عن سخريته من العلماء ورجال الدين الذين يتنحون إلى جانب الحاكم. ويستغلون تعاليم الدين لحرصهم على المناصب والهدايا الموعودة لهم من قبل السلطة.

24. يسخر الشاعر من وسائل الإعلام التي تتعصب للحكومة وتغض أعينها من قضايا الشعب ومصائبهم.

25. وظف الشاعر المفارقة وأنواعها المختلفة في أبياته لتكون سخريته أكثر فاعلية لدى المتلقي.

26. اتخذ الأساليب المختلفة من القصص والحوار والوصية واللغز في أشعاره.

27. نجح الشاعر في توظيف التناسق مع مختلف صوره في أشعاره.

28. وظف الشاعر الرموز بالأشخاص والحيوانات والنباتات والجماد والعلامات والنقاط في أشعاره.

توصيات البحث

يقدم الباحث بعض اقتراحات وتوصيات للأبحاث الجديدة. هذا البحث محصور على أشعار أحمد مطر، وللشاعر أعمال أدبية في النشر أيضاً. يرى الباحث مجالاً للبحث فيها، حيث لم يوجد بحوث أو دراسات فيها. هناك كثير من الشعراء يعيشون في المنفى مثل أحمد مطر لأسباب سياسية اجتماعية، يرى الباحث فيهم مجالاً واسعاً للبحث الأدبي.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن رشد القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه و نقده. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط 2. ج1. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1955م.
3. ابن منظور. لسان العرب. ج1. ط3. بيروت: دار صادر، 1993م.
4. إحسان عباس. شعر الخوارج. ط 2. بيروت: دار الثقافة، 1974م.
5. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر. ط 1. ج 3. بيروت: المكتبة العصرية، 2005م.
6. أبو العباس المبرد. الكامل في اللغة والأدب. تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط 3. ج 3. القاهرة: دار الفكر العربي، م1997.
7. أبو الفداء إسماعيل ابن كثير. السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ج 1. بيروت: دار المعرفة، 1976.
8. أبو القاسم الشابي. ديوان أبي القاسم الشابي. ط 4. بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.
9. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. ديوان الحماسة. شرح: أحمد حسن بسج. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
10. أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري. الأخبار الطوال. تحقيق: عبد المنعم عامر. ط 1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربي، 1960م.

11. أبو عبادة الوليد بن عبید البحتري. الحماسة لأبي عبادة الوليد بن عبید البحتري. تحقيق: د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبید. ط 1. أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2007م.
12. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري. ط 1. دمشق: دار ابن كثير، 2002م.
13. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده. ط 2. مصر: مطبعة السعادة، 1955م.
14. أحمد الزعبي. التناص- نظريا وتطبيقا. ط 2. عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، 2000م.
15. أحمد الشايب. تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني. ط 5. بيروت: دار القلم، 1976. ص 4.
16. أحمد بن محمد ابن عبد ربه. العقد الفريد. ج 2. ط 1. بيروت: دار الفكر، 2019م.
17. أحمد شوقي. ديوان أحمد شوقي. ج 1. بيروت: دار صادر، 2007م.
18. أحمد محمد الحوفي. الحياة العربية من الشعر الجاهلي. ط 3. مصر: مطبعة نهضة، 1949.
19. أحمد محمد الحوفي. أدب السياسة في العصر الأموي. ط 1. بيروت: دار القلم، 1965م.
20. أحمد مطر. المجموعة الشعرية. ط 1. بيروت: دار العروبة، 2011م.
21. أحمد شلبي. كيف تكتب بحثا أو رسالة دراسة منهجية. ط 21. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1992.

22. أدونيس. زمن الشعر. مصر: دار الساقى للطباعة والنشر، 2005م.
23. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004م نحو الحرية في الوطن العربي. عمان: المطبعة الوطنية، 2005م.
24. برويز أحمدزاده هوج. التناص القرآني في شعر أحمد مطر ومهدي أخوان ثالث. فصلية بحوث في الأدب المقارن، 16. (2015م)
25. جاد المولي بك، محمد أحمد، علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. أيام العرب في الجاهلية. ط 1. مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1942.
26. حافظ إبراهيم. ديوان حافظ إبراهيم. ط 3. مصر: دار الغد الجديد، 1987م.
27. حسان بن ثابت. ديوان حسان بن ثابت. تحقيق: عبد الله سنده. ط 1. بيروت: دار المعرفة، 2006م.
28. الحطيئة. ديوان الحطيئة. تبويب: د. مفيد محمد قميحة. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م.
29. دريد بن الصمة. ديوان دريد بن الصمة. تحقيق: عمر عبد الرسول. القاهرة: دار المعارف، 1980م.
30. رحاب لفته حمود الدهلكي. الرمز في شعر أحمد مطر. مجلة كلية التربية الأساسية. 83. (2014م)
31. رحيق صالح فنجان. الإقناع في الشعر السياسي الأموي. ط 1. دمشق: دار أمل الجديدة، 2018م.
32. رشيد أيوب. الأيوبيات. لبنان: دار صادر، 1959م.

33. زاهية قدورة. تاريخ العرب الحديث. بيروت: دار النهضة العربية، 1967م.
34. زكي المحاسني. شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة. ط2. مصر: دار المعارف، 1961م.
35. زهير بن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. شرح: الأستاذ علي حسن فاعور. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.
36. سعيد شوقي. بناء المفارقة في الدراما الشعرية. ط1. القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع، 2001م.
37. سعيد يقطين. تحليل الخطاب الروائي. ط3. بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.
38. سيزا قاسم. المفارقة في القص العربي المعاصر. مجلة فصول. 2. (1982م)
39. شوقي ضيف. التطور والتجديد في الشعر الأموي. ط 8. القاهرة: دار المعارف، 1959م.
40. شوقي ضيف. الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور. ط 2. القاهرة: دار المعارف، 1977م.
41. شوقي ضيف. العصر الجاهلي. ط 11. القاهرة: دار المعارف، 1960.
42. شوقي ضيف. العصر العباسي الأول. ط 6. مصر: دار المعارف.
43. عبد الرحمن الكواكبي. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. تحقيق: محمد عمارة. ط2. القاهرة: دار الشروق، 2009م.

44. عبد الرحمن يوسف. مسبحة الرئيس. ط2. القاهرة: دار الشاعر للنشر والتوزيع، 2012م.
45. عبد الرحيم حسن. لقاء مع أحمد مطر. العالم عدد 185، لندن 29 أغسطس 1987م.
46. عبد القادر القط. في الشعر الإسلامي والأموي، ط1. بيروت: دار النهضة العربية، 1987م.
47. عبد الله بن الزبيرى. شعر عبد الله الزبيرى. تحقيق: د/ يحيى الجبور. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1978م.
48. عبده بدوي. الشعر في السودان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981م.
49. عبيد الله بن قيس الرقيات. ديوان عبيد الله الرقيات. تحقيق: د/ عزيزة فوال بابتي. ط1. بيروت: دار الجيل، 1995م.
50. عز الدين إسماعيل. الأدب وفنونه. ط7. القاهرة: دار الفكر العربي، 1978.
51. علي المسعودي. تكلموا فقالوا. الكويت: شركة المختلف للطباعة والنشر، 2001م.
52. علي بن سلطان محمد القاري. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للإمام التبريزي. تحقيق: جمال عيتاني. ج7. بيروت: دار الكتب العلمية، 2015م.
53. علي عشري زايد. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط1. القاهرة: دار الفصحى للطباعة والنشر، 1978م.

54. عمرو بن كلثوم. ديوان عمرو بن كلثوم. تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب. ط 1. بيروت: دار الكتب العربي، 1991.
55. عيسى الناعوري. أدب المهجر. ط3. مصر: دار المعارف، 1966م.
56. فتوح الخترس، وآخرون. الغزو العراقي للكويت. الكويت: سلسلة عالم المعرفة. العدد 195.
57. الفرزدق. ديوان الفرزدق. شرح: الأستاذ علي فاعور. ط 12. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
58. قصي الحسين. العصر الأموي. ط 12. بيروت: مكتبة الهلال، 1998م.
59. قيس بن الخطيم. ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. ط 1. بغداد: مطبعة العاني، 1962.
60. كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ط 1. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م.
61. لقيط بن يعمر الإيادي. ديوان لقيط بن يعمر الإيادي. تحقيق: خليل إبراهيم العطية. مصر: مطبع دار الجمهورية.
62. محمد آل الخليفة. ديوان محمد العيد آل الخليفة. ط1. الجزائر: دار الهدى، 2010م.
63. محمد بن مبارك. منتهى الطلب من أشعار العرب. ط1. بيروت: دار صادر، 1999.
64. محمد حسنين هيكل. حرب الخليج: أوهام القوة والنصر. ط 1. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992م.
65. محمد عبد الغني. الوطن العربي. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، 2009م.

66. محمد فتوح أحمد. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر. ط3. القاهرة: دار المعارف، 1984م.

67. محمد مصطفى هدارة. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري. ط1. القاهرة: دار المعارف، 1963م.

68. محمود درويش. الديوان الأعمال الأولى 1. ط 2. بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر، 2009م.

69. محمود عبد الوهاب. الحوار في الخطاب المسرحي. مجلة الموقف الثقافي. 10. (1997م)

70. مروان بن أبي حفصة. شعر مروان بن أبي حفصة. تحقيق: د/ حسين عطوان. ط3. القاهرة: دار المعارف، 1982م.

71. معتز قصي ياسين. مستويات بناء الحوار في شعر أحمد مطر. مجلة دراسات البصرة. 21 (2016م)

72. معروف الرصافي. ديوان معروف الرصافي. القاهرة: مؤسسة الهمنداي.

73. منال سليم النخال. الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر هجري أغراضه- ظواهره- اتجاهاته- قضاياها. ماجستير. كلية الآداب- الجامعة الإسلامية- غزة. 2013م.

74. مهمل بن ربيعة. ديوان مهمل بن ربيعة. شرح: طلال حرب. بيروت: الدار العالمية.

75. النابغة الذبياني. ديوان النابغة الذبياني. شرح: عباس عبد الساتر. ط 3. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م.

76. نازك الملائكة. قضايا الشعر المعاصر. ط 5. بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.
77. نواف نصار. معجم المصطلحات الأدبية. ط 1. عمان: المعتر للنشر والتوزيع، 2011م.
78. هشام أحمد الكساسبة. شعرية الهجاء السياسي- دراسة في شعر أحمد مطر. الدكتوراه. جامعة مؤتة، 2016م.
79. ياسر عماد مهدي. الرمز السياسي في شعر أحمد مطر. مجلة الجامعة العراقية. 85. (2023م)

المواقع الإلكترونية

1. إبراهيم قاشوش. حنجرة الثورة المقتلعة. القبس. 13 مارس 2017م. 20 ديسمبر 2021م. -www.alqabas.com/article/369313 إبراهيم-قاشوش-حنجرة-الثورة-المقتلعة
2. أبو العلاء المعري. الديوان. 13 مارس 2023م. <https://www.aldiwan.net/poem23625.html>
3. أحمد مطر. فرعون ذو الأوتاد. القبس. 11 أغسطس 2021م. 20 ديسمبر 2021م. لافتة.. «فرعون ذو الأوتاد» (alqabas.com)
4. أنباء تونس. 8 أبريل 2022م. 10 يوليو 2022م. قضية "قصيدة أحمد مطر": المحكمة العسكرية تقضي بسجن عامر عياد وعبد اللطيف العلوي - أنباء تونس [/\(kapitalis.com\)](http://(kapitalis.com))

5. الحريات الأربع. ويكيبيديا. 24 يونيو 2022م. 28 أغسطس 2022م. الحريات الأربع -

ويكيبيديا(wikipedia.org)

6. حرية الشعوب. ويكيبيديا. 29 يونيو 2021م. 28 أغسطس 2022م. حرية الشعوب -

ويكيبيديا(wikipedia.org)

7. حسن العدم. لافتات أحمد مطر صرخ في فضاء العجز العربي. الجزيرة. 11

أغسطس 2020م. 10 يناير 2022م. - 404 الصفحة غير موجودة(aljazeera.net)

8. حمدي الدريهم. الرحلة الأخيرة للبحث عن أحمد مطر. الجزيرة. 20 سبتمبر 2014م.

25 يونيو 2022م. [https://www.al-](https://www.al-jazirah.com/culture/2014/20092014/aoraq8.htm)

[jazirah.com/culture/2014/20092014/aoraq8.htm](https://www.al-jazirah.com/culture/2014/20092014/aoraq8.htm)

9. حمزة عليان. لافتات أحمد مطر باقية. القبس. 23 مارس 2016م. 25 أغسطس

2021م. «لافتات» أحمد مطر.. باقية(alqabas.com)

10. عاطف الجندي. يا كل ليبيا. ديوان العرب 18 شباط 2012م. 15 مارس 2022م.

11. يا كل ليبيا - ديوان العرب(diwanalarab.com)

12. فاروق جويدة. الأرض قد عادت لنا. الجزيرة. 13 فبراير 2011. 20 ديسمبر 2021

www.aljazeera.net/news/cultureandart/2011/2/13/ الأرض-قد-عادت-لنا

13. فاروق جويدة. ويكيبيديا الموسوعة الحرة. 20 ديسمبر 2021م. فاروق جويدة -

ويكيبيديا(wikipedia.org)

14. فائق منيف. لقاء مع المطر 1. مشراق. 21 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

https://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_21.html

15. فائق منيف. لقاء مع المطر 2. مشراق. 22 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م .

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_22.html

16. فائق منيف. لقاء مع المطر 3. مشراق. 23 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م .

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_23.html.

17. فائق منيف. لقاء مع المطر 4. مشراق. 25 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_25.html

18. فائق منيف. لقاء مع المطر 5. مشراق. 27 أغسطس 2014م. 10 ديسمبر 2019م.

http://fmuneef.blogspot.com/2014/08/blog-post_27.html

19. فائق منيف. 10 ديسمبر 2015م. 15 أبريل 2021م. فائق - لمحي الشاعر الكبير

أحمد مطر والمهتمين بشعره، أرفق أحدث لافتة له، ورابطا لبليوجرافيا الدراسات

والمقالات النقدية عن شعره-<http://fmuneef.blogspot.co.uk/2015/12/blog-post.html>

post.html | Facebook

20. محمد عبد الشافي القوصي. أعوذ بالله من 'أحمد مطر'. رأي اليوم. 24 يوليو 2021م.

20 يناير 2022م. محمّد عبد الشافي القُوصي: أعوذُ بالله من "أحمد مطر" | رأي

اليوم(raialyoum.com)

DECLARATION

I hereby declare that this thesis titled '**THE POLITICAL DIMENSIONS IN AHMED MATAR'S POETRY: AN ANALYTICAL STUDY**' has been written by me under the supervision of **Dr. MANSOOR AMEEN K**, Assistant Professor & Research Supervisor, Research Department of Arabic, M.E.S Mampad College (Autonomous) in fulfillment of requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature. I also declare that this thesis is the result of my own effort and that no part of this thesis hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.


Salahudin K

Place: M. E. S Mampad College

Date: 12/02/2024

THE POLITICAL DIMENSIONS IN AHMED MATAR'S POETRY: AN ANALYTICAL STUDY

*Thesis Submitted to the University of Calicut
In partial fulfillment of requirements for the award of the Degree of*

DOCTOR OF PHILOSOPHY
IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE
(Revised copy)

By
SALAHUDHIN K

Under the Supervision of
Dr. MANSOOR AMEEN K
Assistant Professor & Research Supervisor
Research Department of Arabic
M.E.S Mampad College (Autonomous), Mampad



University of Calicut
Kerala- India
2023

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis titled '**THE POLITICAL DIMENSIONS IN AHMED MATAR'S POETRY: AN ANALYTICAL STUDY**' submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature, is a bonafide study and research work done by **Salahudhin K** under my guidance and supervision.

No part of this thesis hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.



Place: M. E. S Mampad College

Date: 12/02/2024

Dr. Mansoor Ameen K

Assistant Professor & Research Supervisor

Research Department of Arabic

M.E.S Mampad College (Autonomous)

Dr. MANSOOR AMEEN.K
Asst. Professor & Research Guide
Research Department of Arabic
MES Mampad College (Autonomous)
Mampad, Malappuram Dist, Kerala